جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه «معاني القرآن» جمعاً ودراسة

إعداد

أ. د. عبد الله بن حسين العمودي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بقسم الكتاب والسُنَّة
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى.

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ-
يونيو ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)) جمعاً ودراسة

عبد الله بن حسين العمودى
قسم الكتاب والسُنَّة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - السعودية.
الإيميل: al.amoudi3000@gmail.com

ملخص البحث :-

يُعنى هذا البحث بدراسة الآيات التي استشكلها الإمام أحمد بن محمد الشهير بأبي جعفر النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، ويهدف البحث إلى: ١- التعريف بعلم مشكل القرآن وأبرز مؤلفاته. ٢- التعريف بالإمام النحاس وبكتابه ((معاني القرآن)). ٣- إبراز عناية الإمام النحاس بدفع الإشكال عن بعض آيات القرآن الكريم، ودراسة الآيات التي استشكلها في كتابه ((معاني القرآن)) دراسةً تُحرّر وجه الإشكال فيها، ثم ذكر من استشكل الآية من أهل العلم، ثم إيراد أجوبتهم في دفع الإشكال عن الآية.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أسلك في إعداده المنهج الاستقرائي التحليلي وفق إجراءات البحث المبينة في مقدمته، وخلصت الدراسة إلى عِدَّة نتائج أبرزها: ١- لم يكن الإمام النحاس ناقلاً عمن سبقه من أهل العلم دون تمحيصٍ أو نقد، بل كان إمامًا مُحرّرًا وناقدًا بصيرًا، وله ترجيحات تدل على رسوخه العلمي. ٢- أبرز من أفاد منهم الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)): الإمام الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، والإمام الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، والإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، والإمام الزَّجاج (ت٣١١هـ). ٣- أورد الإمام النحاس جملةً من التساؤلات في كتابه ((معاني القرآن)) بعِدَّة صيغ، منها: فإن قيل، ويُقال، وممَّا يُقال، ومما يُسأل عنه. ٤- تعددت أنواع المشكل عند الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، وهذه الأنواع هي: مشكل المعنى، ومشكل موهم الاختلاف والتناقض، ومشكل اللغة، ومشكل المناسبة. **ومن التوصيات**: ١- دراسة التساؤلات التي أوردها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)). ٢- دراسة الأقوال التي وصفها بالحُسْن في كتابه ((معاني القرآن)). ٣- دراسة الأقوال التي وصفها بالخطأ في كتابه ((ماي القرآن)).

الكلمات المفتاحية: مشكل – القرآن – معاني – النحاس.

The verses that Imam Al-Nahhas used in his book, The Meanings of the Qur'an, collected and studied

Abdullah bin Hussein Al-Amoudi
Department of the Qur'an and sunnah - College of Juveniles and Fundamentals of Religion - Umm Al- Qura University - Saudi Arabia.
Email: al.amoudi3000@gmail.com

Abstract : -

This research is concerned with studying the verses that were problematic by Imam Ahmad bin Muhammad Babi Jaafar al-Nahhas in his book ((The Meanings of the Qur'an)). The research aims to: 1- Introducing the science of the problem of the Qur'an and its most prominent works. 2- Introducing Imam Al-Nahhas and his book ((The Meanings of the Qur'an)).

3-Highlighting the authority of Imam Al-Nahhas by removing the problem from some verses of the Holy Qur'an, and studying the verses that caused the problem in his book ((The Meanings of the Qur'an)) in a way that clears up the source of the problem in them, then mentioning those of the scholars who made the verse problematic, then presenting their answers in rejecting the problem with the verse**.**The nature of the research required that I adopt the inductive and analytical method in its preparation in accordance with the research procedures described in its introduction. The study concluded with several results, the most prominent of which are: 1- Imam al-Nahhas was not a transmitter from those who preceded him among the scholars without scrutiny or criticism. Rather, he

was an imam who was a liberator and an insightful critic. Preferences indicate its scientific solidity. 2- The most prominent of those who benefited from Imam Al-Nahhas in his book ((Meanings of the Qur'an)): Imam Al-Farra (d. 207 AH), Imam Al-Akhfash Al-Awsat (d. 215 AH), Imam Ibn Jarir Al-Tabari (d. 310 AH), and Imam Al-Zajjaj (d. 311 AH). 3- Imam Al-Nahhas listed a number of questions in his book ((The Meanings of the Qur'an)) in several forms, including: What is said, what is said, what is said, and what is asked about. 4- Multiple**.** Among the recommendations: 1- Study the questions mentioned by Imam Al-Nahhas in his book ((The Meanings of the Qur'an)). 2- Study the sayings that he described as beautiful in his book ((The Meanings of the Qur'an)). 3- Studying the statements that he described as wrong in his book ((The Meanings of the Qur'an))**.**

Keywords: Problem - The Qur'an - Meanings - Copper**.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه المبين هُدىً وموعظةً للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين نبينا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه البَررة الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فإنَّ من أَجلِّ ما بُذلت فيه جهود ذوي الهِمم، وأعظم ما تنافس في تحصيله الأفراد والأُمم العلم الذي به صلاح أمر الدنيا والدين، وحصول الرِفعة والسيادة في الدارين، وتحقيق مرضاة رب العالمين.

ولا شَكَّ أنَّ خير العلوم وأنفعها ما كان متصلاً بكتاب الله تبارك وتعالى الذي هو كُلية الشريعة، وعُمدة المِلَّة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر.

وهذا التنزيل الكريم قد أحكم الحكيم الخبير سبحانه آياته غاية الإحكام، فكان كتابًا عزيزًا سالمًا من التعارض والاختلاف، محفوظًا من التبديل والتغيير، قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [سورة النساء: ٨٢]، وقال عَزَّ وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر: ٩].

ومن حفظ الله تعالى لكتابه أن هيأ له على مَرِّ العصور أهل العلم الفضلاء الذين تتابعوا على العناية به من جميع جوانبه وعلومه، ومن ذلك: عنايتهم بدفع الإشكال الوارد على بعض آياته إمَّا من خلال تفسيرهم لسور القرآن الكريم، أو إفرادهم المؤلفات التي عُنيت بمشكل القرآن.

ومن هؤلاء العلماء الفضلاء: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، الذي أولى مشكل القرآن عنايةً وضمَّن كتابه ((معاني القرآن)) عددًا

من التساؤلات المشكلة التي أجاب عنها؛ ولِمَا لعلم مشكل القرآن من أهمية، ولمكانة الإمام النَّحاس العلية، ولقيمة كتابه العلمية، فقد رغبتُ في دراسة الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)).

أهمية البحث:

١- أنَّ دفع ما يُشكل من آيات القرآن الكريم فيه إبرازٌ لإعجازه وحفظه، وسلامته من الاختلاف والتعارض، وهو أحد مسالك الدفاع عن القرآن الكريم والانتصار له.

٢- في دفع الإشكال عن الآيات القرآنية التي يُوهم ظاهرها التعارض رَدٌّ لشبهات المغرضين، الذين اتخذوا من الإشكال الوارد على بعض آيات القرآن سبيلاً للطعن فيه وإثارة الشبهات حوله.

٣- تعلق هذه الدراسة بعلم مشكل القرآن، وهو أحد أنواع علوم القرآن الكريم المهمة والدقيقة.

٤- عناية الإمام النحاس بدفع الإشكال عن عددٍ من الآيات الكريمة، إضافةً لِـمَا له من المكانة العلية بين جِلَّة أهل العلم، ومؤلفاته البديعة شاهدةٌ بذلك.

٥- أنَّ دراسة هذا العلم؛ ممَّا يزيد الإيمان واليقين بعظمة كتاب الله المبين.

أهداف البحث:

١- تعريف علم مشكل القرآن وذكر أبرز مؤلفاته.

٢- التعريف بالإمام النحاس وبكتابه ((معاني القرآن)).

٣- إبراز عناية الإمام النحاس بدفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم، وهو مظهرٌ من مظاهر عناية علمائنا -رحمهم الله- بكتاب الله عَزَّ وجل.

٤- تحرير محل الإشكال في الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)).

٥- دفع الإشكال الوارد عن الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)) بإيراد أجوبة المفسرين ودراستها دراسةً تحليلية.

مشكلة البحث وأسئلته:

تبرزُ مشكلة البحث في أنَّ بعض الآيات القرآنية التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)) فيها إشكالٌ إمَّا بسبب التعارض الظاهر بين آيتين، أو إشكالٌ من جهة المعنى، أو إشكالٌ من جهة المناسبة، وتُجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

أولاً: هل الآيات التي استشكلها الإمام النحاس كانت محل إشكال عند غيره من أهل العلم؟

ثانيًا: ما وجه الإشكال في هذه الآيات التي استشكلها الإمام النحاس؟

ثالثًا: ما الأجوبة التي دفع بها أهل العلم الإشكال عن هذه الآيات القرآنية؟

رابعًا: ما أنواع مشكل القرآن التي تضمنها كتاب ((معاني القرآن)) للإمام النحاس؟

حدود البحث:

دراسة الآيات القرآنية التي نَصَّ الإمام النحاس على أنَّها مشكلة في كتابه ((معاني القرآن))، وهي الآيات التي سيأتي ذكرها في خُطَّة البحث.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد البحث في قواعد المعلومات ومحركات البحث -في حدود اطلاعي- من تناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة، إلاَّ أنَّ الدراسات المتعلقة بكتاب ((معاني القرآن)) للإمام النحاس دراساتٌ متعددة ومتنوعة، وهذه الدراسات التي وقفت عليها بيانها كالآتي:

١- ترجيحات الإمام أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة – جمعًا ودراسةً وموازنةً، إعداد الباحث: زيد علي مهدي مهارش، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.

٢- اختيارات الإمام أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة إبراهيم، إعداد الباحث: صلاح سالم سعيد باعثمان، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٣- اختيارات الإمام أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النمل، إعداد الباحث: عبدالهادي علي سعيد الزهراني، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٤- اختيارات الإمام أبي جعفر النحاس في التفسير من أول سورة القصص إلى آخر سور القرآن، إعداد الباحث: ياسين حافظ قاري قوماوي، رسالة دكتوراه، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٧هـ.
٥- الإمام النحاس مُفسِّرًا من خلال كتابه ((معاني القرآن))، إعداد الباحثة: حنان عوض إبراهيم علي، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٩هـ.
٦- تصحيحات النحاس الدلالية لمعاني الألفاظ القرآنية من خلال كتابه ((معاني القرآن))، إعداد الباحث: فادي محمود الرياحنة، مجلة الجامعة الإسلامية للعلوم الشرعية، العدد ١٧٦، ٢٠١٦م.
٧- أثر ظاهرة الإبدال اللغوية في اختلاف معاني الألفاظ القرآنية: دراسة في كتاب ((معاني القرآن الكريم)) للنحاس، إعداد الباحث: فادي محمود الرياحنة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت، العدد ١١٠، ٢٠١٧م.
٨- مقارنة بين كتابي معاني القرآن و إعرابه لأبي إسحاق الزجاج و معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، إعداد الباحث: محمد مصطفى منصور، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدمياط الجديدة، العدد ٨، ٢٠٢٠م.
٩- مفهوم ومسالك توجيه الأقوال عند النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، إعداد الباحث: أحمد فلاح الضبعان، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، المجلد ٣٣ العدد ٢، ٢٠٢١م.
١٠- الأصل الاشتقاقي للمفردة القرآنية عند النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، إعداد الباحث: سامي وصل الحسيني، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، العدد ٣٠، ٢٠٢٢م.

١١- وجوه الترجيح بين أقوال المفسرين عند الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، إعداد الباحث: عبدالله حسين العمودي، مجلة آداب الفراهيدي بجامعة تكريت، العدد ٥١، ٢٠٢٢م.

منهج البحث وإجراءاته:

اقتضت طبيعة البحث أن أسلك في إعداده المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء كتاب ((معاني القرآن)) للإمام النحاس وتحديد الآيات التي نَصَّ على إشكالها، ودراستها دراسةً تحليلية تُحرّر وجه الإشكال في الآية، وجوابه عن هذا الإشكال، ثم ذكر من استشكل الآية من أهل العلم، وأجوبتهم في دفع الإشكال عن الآية، وذلك وفق الإجراءات الآتية:

١- كتابة الآيات القرآنية الكريمة بالرسم العثماني، وعزوها إلى سورها في المتن.
٢- تخريج الأحاديث تخريجًا مختصرًا من مصادرها الأصلية، وبيان حكمها إذا لم تكن في الصحيحين أو أحدهما.
٣- عدم التعريف بالأعلام المذكورين؛ مراعاةً للإيجاز الذي يُناسب هذا النوع من الدراسات العلمية.
٤- توثيق أقوال أهل العلم من مصادرها.
٥- الرجوع إلى المصادر المتقدمة، والإفادة من الدراسات المعاصرة.
٦- ترتيب المصادر في الحاشية بحسب تاريخ وفيات مؤلفيها.
٧- عند التوثيق من المصادر والعزو إليها اكتفيتُ بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، وأمَّا بقية بيانات النشر فذكرتها في فهرس المصادر والمراجع.
٨- ختمتُ الدراسة بذكر أبرز نتائج البحث وتوصياته.
٩- أوجزتُ عند عرض أقوال أهل العلم وأدلتهم؛ مراعاةً لمعايير النشر في المجلات المُحكَّمة.
١٠- ذيلتُ البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

خُطَّة البحث:

يشـــتمل البحث على: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصـــادر والمراجع.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، ومشـــكلة البحث وأســـئلته، وحدود البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وخُطَّة البحث.

المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن وأبرز مؤلفاته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف مشكل القرآن.

المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في مشكل القرآن.

المبحث الثاني: التعريف بـالإمـام النحـاس وبكتـابـه ((معـاني القرآن))، وفيـه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام النحاس.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب ((معاني القرآن)).

المبحث الثالث: الآيات التي اســـتشـــكلها الإمام النَّحاس في كتابه ((معاني القرآن))، وفيه دراسة للآيات الآتية:

الآية الأولى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ . . .﴾ [البقرة: ١٩٦].

الآيـة الثـانيـة: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

الآية الثالثة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

الآيـة الرابعـة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء: ٥٩].

الآية الخامسة: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج: ١٢-١٣].

الآية السادسة: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

الآية السابعة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥].

الآية الثامنة: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١].

الآية التاسعة: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩].

الآية العاشرة: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

الخاتمة.

سائلاً الله تعالى التوفيق والسداد، ومستمدًا منه العون والرشاد، إنَّه خير مسؤول وأكرم مأمول، وصلَّى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن وأبرز مؤلفاته

المطلب الأول: تعريف مشكل القرآن:

أولاً: تعريف المشكل في اللغة:

اسم فاعل من أَشْكَلَ يُشْكِلُ إِشْكَالاً؛ فهو مُشْكِلٌ. يُقال: قد أشكل عليَّ الأمر، أي: قد اختلط بغيره(١). ويُقال: حرفٌ مُشْكِلٌ، أي: مشتبهٌ ملتبس، وأمورٌ أَشْكَال، أي: ملتبسةٌ، وبينهم أَشْكِلةٌ، أي: لبسٌ(٢). قال ابن فارس: "الشين والكاف واللام معظم باب المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي مثله، ومن ذلك يقال: أمرٌ مشكل، كما يقال: أمرٌ مشتبه، أي هذا شَابَه هذا"(٣).

وممَّا تقدم يتبيّن أنَّ المعنى اللغوي للمشكل يدل على: الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمماثلة(٤).

ثانيًا: تعريف المشكل في الاصطلاح:

تباينت أقوال أهل العلم في تعريف المشكل اصطلاحًا فكلٌ يُعرِّفه بحسب فَنِّه، فتعريفه عند الأصوليين(٥) مختلفٌ عنه عند المحدثين(٦) وكذا عند المفسرين؛ ولأنَّ البحث متعلق بالمشكل في القرآن الكريم، سأقتصر على إيراد تعريف المشكل عند علماء التفسير.

---

(١) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١٥١/٢).
(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢، ٢٥)، ولسان العرب (٣٥٧/١١).
(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٠٤/٣).
(٤) انظر: مشكل القرآن الكريم (ص٤٦).
(٥) انظر: أصول السرخسي (١٦٨/١).
(٦) انظر: مختلف الحديث (ص٣٢).

وإذا نظرنا إلى كتب التفسير بوجهٍ عام وإلى تفاسير العلماء الذين كانت لهم عناية بدفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم(١)، إضافةً إلى الكتب التي أُفردت لدراسة مشكل القرآن على وجه الخصوص(٢)، نجد أنَّهم لم يتطرقوا إلى تعريف المشكل، ولكن يُلاحظ استخدامهم لمصطلح (المشكل) ليشمل كل إشكالٍ يطرأ على الآية، سواء كان في اللفظ، أو في المعنى، أو في توهم التعارض، أو غير ذلك من أسباب الإشكال.

وأمَّا المؤلفات في علوم القرآن فقد تضمَّنت في عددٍ منها تعريفًا للمشكل، ومن ذلك: تعريف الزركشي لموهم الاختلاف، حيث قال: "هو ما يُوهم التعارض بين آياته"(٣).

وأفاد السيوطي من الزركشي التعريف المتقدم، إلاَّ أنَّه جعل المشكل وموهم الاختلاف والتناقض بمعنىً واحد(٤)، وقد تعقَّبه ابن عقيلة المكي بقوله: "قال الحافظ السيوطي في ((الإتقان)): النوع الثامن والأربعون: في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض. قُلتُ: تقدَّم تعريف المشكل، وأنه هو الذي أشكل معناه، فلم يَتبيَّن حتى بُيِّنَ، وليس هذا النوع من ذلك، بل هذا النوع آيات يُعارض بعضها بعضًا"(٥).

ولا شَكَّ أنَّ ثمَّة فرقٌ بين مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتعارض، والعلاقة بينهما علاقة عمومٍ وخصوص، فمشكل القرآن أعمُّ من موهم الاختلاف والتعارض، وما ذهب إليه ابن عقيلة المكي هو الصحيح، فموهم الاختلاف والتناقض أحد أسباب الإشكال، وعلم مشكل القرآن أعمُّ من ذلك، فهو يشمل أسبابًا

(١) كابن عطية (ت٥٤١هـ) في (المحرر الوجيز)، وابن العربي (ت٥٤٣هـ) في (أحكام القرآن)، وابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) في (التحرير والتنوير).
(٢) ككتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، و (تفسير آيات أشكلت) لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و (دفع إيهام الاضطراب) للشنقيطي (ت١٣٩٣هـ).
(٣) البرهان في علوم القرآن (٤٥/٢).
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٤٧٠/٤).
(٥) الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١٩٦/٥).

أخرى من: الإشكال في المعنى، والإشكال في السياق والمناسبة، والإشكال في اللغة، والإشكال في القراءات.

وقد عَرَّفَ بعض الباحثين علم مشكل القرآن بعِدَّة تعريفات، من ذلك: أنَّه الآيات القرآنية التي التبس معناها، واشتبه على كثيرٍ من المفسرين، فلم يعرف المراد منها إلاَّ بالطلب والتأمل(١).

وقيل في تعريفه: كل نَصٍّ استَغلقَ وخَفِيَ معناه، أو أوهم معارضة نصٍ شرعيٍ آخر، أو أوهم معاني مستحيلة شرعًا أو عقلاً، أو شرعًا وعقلاً(٢).

وقيل في تعريفه: ما يطرأ على أحد العلماء المعتبرين في القرآن الكريم من خَفَاءٍ واشتباهٍ في المراد، بأيِّ سببٍ من الأسباب، بحيث لا يظهر المراد منه إلاَّ بعد التفكر والتأمل(٣).

ويُمكن أن يُقال في تعريف مشكل القرآن بأنَّه: ما خَفِيَ على أحد العلماء من معنى آيةٍ قرآنية لسببٍ من الأسباب، بحيث لا يتبين له معنى الآية إلاَّ بعد إعمال النظر للوصول إلى معناها.

(١) مشكل القرآن، عبدالله المنصور (ص٧٧).
(٢) الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن (ص٢٦).
(٣) انظر: مشكل القرآن الكريم في تفسير ابن عاشور (٨٤/١).

المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في مشكل القرآن:

عُنِيَ أهل العلم بالتصنيف في هذا الباب المهم والدقيق من أبواب علوم القرآن الكريم؛ رَدًّا لشبهات الطاعنين، وكشفًا لزيف المبطلين، وتأكيدًا على عظمة الكتاب المبين، والمؤلفات في مشكل القرآن الكريم كثيرة، ومن أبرز مؤلفات المتقدمين:

١- الرد على الملحدين في متشابه القرآن، لأبي علي محمد بن المستنير البصري المعروف بقُطْرُب (ت٢٠٦هـ)[١].

٢- الرد على الزنادقة والجهمية، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)[٢].

٣- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبدالله بن عبدالمجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)[٣].

٤- تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم[٤]، ومشكل إعراب القرآن[٥]، كلاهما لأبي محمد مكي بن أبي طالب بن حَمُّوش القيسي (ت٤٣٧هـ).

٥- فوائد في مشكل القرآن، لأبي محمد عبدالعزيز بن عبدالسلام السُّلمي (ت٦٦٠هـ)[٦].

٦- تفسير آيات أشكلت على كثيرٍ من العلماء، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)[٧].

والدراسات المعاصرة في علم مشكل القرآن على نوعين:

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (١٧٦/٢).
(٢) طبعته دار غراس، بتحقيق: د. دغش شبيب العجمي، ١٤٢٦هـ.
(٣) طبعته المكتبة العلمية، ١٣٩٣هـ.
(٤) طبعته دار النور الإسلامي، بتحقيق: هدى الطويل المرعشلي، ١٤٠٨هـ.
(٥) طبعته مؤسسة الرسالة، بتحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ١٤٠٥هـ.
(٦) طبعته دار الشروق، بتحقيق: سيد رضوان الندوي، ١٤٠٢هـ.
(٧) طبعته مكتبة الرشد، بتحقيق: د. عبدالعزيز محمد الخليفة، ط١، ١٤١٧هـ.

النوع الأول: الدراسات التأصيلية في علم مشكل القرآن، ومن أمثلتها:

١- مشكل القرآن الكريم (أسبابه، وأنواعه، وطرق دفعه)، إعداد الباحث: عبد الله حمد المنصور، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية[١].

٢- المؤلفات في مشكل القرآن الكريم ومناهجها، إعداد الباحث: عبد الرحمن سند الرحيلي، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

النوع الثاني: دراسة مشكل القرآن عند المفسرين، ومن أمثلتها:

١- مشكل القرآن الكريم في تفسير البسيط للواحدي جمعًا ودراسة، إعداد الباحث: سلطان صغير العنزي، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية[٢].

٢- مشكل القرآن عند الإمام السمعاني في تفسيره جمعًا ودراسة، إعداد الباحثة: منال عبد الرحمن الجمعة، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

٣- مشكل القرآن الكريم عند الإمام السُهيلي جمعًا ودراسة، إعداد الباحثة: نورا سليم الحارثي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

٤- مشكل القرآن الكريم في تفسير القرطبي جمعًا ودراسة، إعداد الباحث: منصور حسن الحمودي، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٥- مشكل القرآن الكريم عند الألوسي في تفسيره من سورة القصص إلى نهاية القرآن الكريم، إعداد الباحث: أمين آدم، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

٦- مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور جمعًا ودراسة، إعداد الباحث: علي عبد الله السكاكر، رسالة دكتوراه، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية[٣].

---

(١) طبعته دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

(٢) طبعته دار الأوراق الثقافية، ١٤٣٩هـ.

(٣) طبعته عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ١٤٣٧هـ.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام النحاس وبكتابه «معاني القرآن»

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام النحاس تعريفًا موجزاً من خلال الآتي:

أولاً: اسمه ونسبه:

هو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، المُرادي، المصري، الشهير بأبي جعفر النحاس والصَفَّار(١)، الإمام، المُفسِّر، اللغوي، الأديب(٢).

ثانيًا: شيوخه وتلاميذه:

رحل الإمام أبو جعفر النحاس في طلب العلم وطَوَّف الأقاليم، ولقي ثُلة من فضلاء علماء عصره، الذين أفاد منهم وأخذ عنهم، ومن هؤلاء الأعلام(٣):

١- محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشهير بالمُبَرِّد (ت٢٨٥هـ).
٢- أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ).
٣- إبراهيم بن محمد بن السِّري الشهير بالزَجَّاج (ت٣١١هـ).

---

(١) نسبةً إلى من يعمل النَّحاس، وأهل مصر يقولون لمن يعمل الأواني الصُّفرية ويبيعها: النَّحاس، وقد اشتُهِرَ بهذا الاسم جماعة، منهم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، من أهل مصر. انظر: الأنساب (١٣/٥٥-٤٥).

(٢) انظر: تاريخ ابن يونس الصَّدفي (١/١٩)، وطبقات النحويين واللغويين (ص٢٢٠)، وتاريخ العلماء النحويين (ص٣٣)، ونُزهة الأَلِبَّاء (ص٢١٧)، ومعجم الأدباء (١/٤٦٨)، وإنبَاه الرواة (١/١٣٦)، والوافي بالوفيات (٧/٢٣٧)، ووفيات الأعيان (١/٩٩)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٠١)، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (١/٥٣١)، وطبقات المفسرين للداودي (١/٦٨).

(٣) انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص٢٢٠)، ونُزهة الأَلِبَّاء (ص٢١٧)، وإنباه الرواة (١/١٣٦)، ووفيات الأعيان (١/١٠٠)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٤٠١).

٤- علي بن سليمان بن الفضل الشهير بالأخفش الأصغر (ت٣١٥هـ).
٥- إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الشهير بنِفطويه (ت٣٢٣هـ).
٦- محمد بن القاسم بن محمد بن بشَّار الشهير بابن الأنباري (ت٣٢٨هـ).

وبعد طلبه للعلم ورحلته للأخذ عن علماء عصره جلس للتدريس وأخذ في التأليف، وكان للناس رغبةً كبيرة في الأخذ عنه، فنفع وأفاد، وأخذ عنه خلقٌ كثير ممن كان لهم مكانة علمية مرموقة، وممَّن تتلمذ عليه[١]:

١- منذر بن سعيد البَلَّوطي الأندلسي (ت٣٥٥هـ).
٢- محمد بن يحيى بن عبدالسلام الأزدي (ت٣٥٨هـ).
٣- محمد بن مفرج بن عبدالله المَعافِري القرطبي (ت٣٧١هـ).
٤- محمد بن خراسان النحوي المصري (ت٣٨٦هـ).
٥- محمد بن علي بن أحمد الإدفوي (ت٣٨٨هـ).

ثالثًا: مؤلفاته:

للإمام النحاس مصنفات شهيرة في مختلف العلوم تدل على إمامته ورسوخه العلمي، وقد ذكر ياقوت الحموي بأنَّ مؤلفاته تربو على الخمسين مُصَنَّفًا[٢]، فمن هذه المؤلفات:

١- أخبار الشعراء[٣].

٢- اشتقاق أسماء الله جَلَّ وعَز[٤].

٣- إعراب القرآن[٥].

---

(١) انظر: طبقات النحويين واللغويين (ص٢٢٠)، وتاريخ علماء الأندلس (٣٨٦/١)، (٩٣/٢، ١١٠، ١٨١)، وسير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥)، وبُغية الوعاة (٩٩/١).
(٢) انظر: معجم الأدباء (٢٢٨/٤).
(٣) ذكره الزبيدي في طبقات النحويين (ص٢٢١).
(٤) مطبوع بتحقيق: د. محمد الطبراني، من مطبوعات مركز البحوث والتواصل المعرفي.
(٥) مطبوع بتحقيق: د. زهير زاهد، من مطبوعات دار عالم الكتب.

٤- الثُّفاحة في النحو[١].

٥- شرح القصائد التسع المشهورات[٢].

٦- صناعة الكُتَّاب[٣].

٧- القطع والائتناف[٤].

٨- الكافي[٥].

٩- معاني القرآن[٦].

١٠- المُقنِع في اختلاف البصريين والكوفيين[٧].

١١- النَّاسخ والمنسوخ[٨].

رابعًا: مكانته العلمية:

برع الإمام النحاس في عددٍ من العلوم، وتصانيفه شاهدة بإمامته وسعة علمه، وأهل العلم الذين ترجموا له شهدوا له برفيع منزلته العلمية، من ذلك:

(١) مطبوع بتحقيق: كوركيس عوَّاد، من مطبوعات مطبعة العاني.
(٢) مطبوع بتحقيق: أحمد خطَّاب، من مطبوعات دار الحرية.
(٣) مطبوع بتحقيق: د. بدر ضيف، من مطبوعات دار العلوم العربية.
(٤) مطبوع بتحقيق: د. عبدالرحمن المطرودي، من مطبوعات دار عالم الكتب.
(٥) كتابٌ في النحو ذكره التنوخي في تاريخ العلماء النحويين (ص٣٤)، وقد قام الباحث: تركي المعبدي بجمع النقول والمسائل المعزوة إليه في بحث مُحكَّم في مجلة كلية دار العلوم بالقاهرة.
(٦) مطبوع بتحقيق: محمد الصابوني، من مطبوعات مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.
(٧) كتابٌ في النحو ذكره الزبيدي في طبقات النحويين (ص٢٢١).
(٨) مطبوع بتحقيق: د. سليمان اللاحم، من مطبوعات مؤسسة الرسالة.

ثناء ابن يونس الصَّدَفي عليه بقوله: "كان عالـمًا بالنحو حاذقًا، وكتب الحديث عن الحسن بن غُلَيب وطبقته، وخرج إلى العراق، ولقي أصحاب الـمُبرِّد، وله تصانيف في النحو وتفسير القرآن جِيادٌ مُستحسنة"(١).

وقال الزبيدي: "وكان واسع العلم، غزير الرواية، ولم تكن له مشاهدة، وإذا خَلاَ بقلمه جَوَّد وأحسن. وله كتبٌ في القرآن مفيدة، منها كتاب معاني القرآن، وكتب إعراب القرآن، جلب فيه الأقاويل، وحشد الوجوه، وله كتاب في تفسير أسماء الله عَزَّ وجل أحسن فيه، وله في ناسخ القرآن ومنسوخه كتابٌ حسن. وكان لا يتكبر أن يسأل الفقهاء وأهل النظر، ويفاتشهم عمَّا أشكل عليه في تأليفاته"(٢).

وقال ابن الجوزي: "له تصانيفٌ حِسان في تفسير القرآن والنحو"(٣).

وقال ياقوت الحموي: "صاحب الفضل الشائع، والعلم المتعارف الذائع، الذي يُستغنى بشهرته عن الإطناب في صفته"(٤).

وقال القِفْطي: "كان من أهل العلم بالفقه والقرآن، وله مصنفات في القرآن؛ منها كتاب (الإعراب)، وكتاب (المعاني)، وهما كتابان جليلان، أغنيا عمَّا صُنِّفَ قبلهما في معناهما"(٥).

وقال ابن خَلِكان: "كان للناس رغبة كبيرة في الأخذ عنه، فنفع وأفاد، وأخذ عنه خلق كثير"(٦).

وقال الذهبي: "العلاَّمة، إمام العربية، صاحب التصانيف.. وكان من أذكياء العالم"(٧).

---

(١) انظر: تاريخ ابن يونس الصَّدَفي (١٩/١).
(٢) طبقات النحويين (ص٢٢٠).
(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧٥/١٤).
(٤) معجم الأدباء (٢٢٦/٤).
(٥) إنباه الرواة (١٣٦/١).
(٦) وفيات الأعيان (١٠٠/٤).
(٧) سير أعلام النبلاء (٤٠١/١٥).

وقال أيضًا: "وكان يُنَظَّر بابن الأنباري ونِفْطويه ببلده.. وكان حاذقًا، بارعًا، كبير الشأن"(١).

وقال ابن كثير: "اللغويُّ، المُفسِّر، الأديب، له مصنفات كثيرة في التفسير وغيره.. وانتفع الناس به"(٢).

خامسًا: وفاته:

بعد حياة علمية حافلة قضاها الإمام النحاس في طلب العلم والتصنيف والتدريس، توفي -رحمه الله- سنة ٣٣٨هـ وعليه أكثر أهل العلم(٣)، وقيل: توفي سنة ٣٣٧هـ(٤).

المطلب الثاني: التعريف بكتابه ((معاني القرآن)):

يُعدُّ كتاب ((معاني القرآن)) للإمام النحاس من أَجلِّ المؤلفات وأبرزها في بابه؛ فقد اعتنى فيه بتفسير الآيات، وما أُثِرَ عن السلف في بيان معناها، مع الاهتمام بإيراد الشواهد الشعرية، وبيان تصريف الكلمات واشتقاقها، وإيراد القراءات وذكر من قرأ بها، وبيان ما احتاج إليه المعنى من الإعراب، وهذه معالم منهجه التي أبان عنها -رحمه الله- في مقدمة كتابه(٥)، وهي كالآتي:

أولاً: تفسير معاني الآيات، وبيان الألفاظ الغريبة.
ثانيًا: بيان الناسخ والمنسوخ في الآية، وإيراد أقوال الأئمة المتقدمين.
ثالثًا: بيان تصريف الكلمة واشتقاقها.

---

(١) تاريخ الإسلام (١٥٥/٢٥).
(٢) البداية والنهاية (٢٠١/١٥).
(٣) انظر: تاريخ ابن يونس الصَّدفي (١٩/١)، والوافي بالوفيات (٢٣٨/٧)، ووفيات الأعيان (١٠٠/١)، وسير أعلام النبلاء (٤٠٢/١٥)، وبُغية الوعاة (٣٦٢/١).
(٤) وممَّن قال بهذا: الزبيدي في (طبقات النحويين) (ص٢٢١)، والتنوخي في تاريخ العلماء النحويين (ص٣٣)، والقِفْطي في (إنبَاه الرواة على أنباء النُحاة) (١٣٨/١).
(٥) انظر: معاني القرآن (٤٢/١-٤٣).

رابعًا: إيراد القراءات وذكر من قرأ بها.
خامسًا: ذكر ما احتاج إليه المعنى من الإعراب.
سادسًا: بيان ما احتَجَّ به العلماء في مسائل سأل عنها المجادلون.
سابعًا: بيان ما فيه حذف أو اختصار.
ثامنًا: بيان ما فيه تقديم أو تأخير.

وقد أَلَّفَ الإمام النحاس كتابه ((معاني القرآن)) قبل تأليف كتابه الآخر ((إعراب القرآن))، وأشار –رحمه الله- في عِدَّة مواضع من كتابيه إلى ما يدل على ذلك، منها:

١- ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] قال: "فيه قراءات سنذكرها في الإعراب إن شاء الله"(١).

٢- ما جاء عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]: "وقد تقصيناه في الكتاب الذي قبل هذا"(٢).

٣- ما جاء عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة: ٢٨٢]: "قد ذكرنا كل ما فيه في كتابنا الأول المعاني"(٣).

ولم يكن الإمام النحاس ناقلاً عمن سبقه دون تمحيصٍ ونقد، بل كان في كثيرٍ من المواضع يُناقش الأقوال التي يُوردها ويتعقبها، وكانت له اختيارات وترجيحات وفق قواعد وأسس علمية تدل على رسوخه العلمي، ولهذه الميزات وغيرها نال كتابه ((معاني القرآن)) ثناء أهل العلم، وكان له تأثيره في مصنفات من بعده من العلماء، ومن هذه المصنفات التي أفادت من كتابه:

(١) معاني القرآن (٩٦/٣).
(٢) إعراب القرآن (٢٦٣/١).
(٣) إعراب القرآن (٣٤٤/١).

١- تفسير القرآن لأبي المُظفَّر منصور بن محمد بن عبدالجبار السمعاني (ت٤٨٩هـ)، الذي أفاد من كتاب ((معاني القرآن)) لأبي جعفر النحاس في عِدَّة مواضع من كتابه، منها: قوله في تفسيره أول سورة النساء: "اعلم أنَّ هذه السورة تُسمَّى: سورة النساء، وتُسمَّى سورة الأحكام، وهي مدنية على قول أكثر المفسرين .. وأورد النحاس أنَّ السورة مكية"(١).

وما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] حيث قال: "أنَّ مقصود الآية هو أنَّ أهل الباطل مختلفون ، وأهل الحق متفقون ، وخلق أهل الباطل للاختلاف ، وخلق أهل الحق للاتفاق. قال النحاس: وهذا أبين الأقوال"(٢).

٢- المُحرَّر الوجيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، الذي أفاد من كتاب ((معاني القرآن)) لأبي جعفر النحاس في عِدَّة مواضع من كتابه، منها: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨٧] حيث قال: "الخوالف: النساء، جمع خالفة، هذا قول جمهور المفسرين. وقال أبو جعفر النحاس: يُقال للرجل الذي لا خير فيه: خالفة، فهذا جمعه بحسب اللفظ، والمراد أخِسةُ الناس وأخالِفُهُم"(٣).

وما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الكهف: ٩] حيث قال: "الكهف: النَّقب المتسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غار. وحكى النحاس عن أنس بن مالك أنه قال: الكهف: الجبل، وهذا غير شهير في اللغة"(٤).

---

(١) تفسير القرآن (٣٩٢/١)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٧/٢).
(٢) تفسير القرآن (٤٦٨/٣)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٣٩٠/٣).
(٣) المُحرَّر الوجيز (٣٨٠/٤)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢٤١/٣).
(٤) المُحرَّر الوجيز (٥٦٨/٥)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢١٧/٤).

٣- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، الذي أفاد بصورة كبيرة من كتاب ((معاني القرآن)) لأبي جعفر النحاس ويُعدُّ أحد المصادر الأساسية التي رجع إليها في مواضع كثيرة من جامعه، ومن هذه المواضع: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣] حيث قال في بيان معنى كلمة (قاسية): "قاسية أي: صلبة لا تعي خيرًا ولا تفعله.. وقرأ الكسائي وحمزة: (قسيَّة) بتشديد الياء من غير ألف، وهي قراءة ابن مسعود والنخعي ويحيى بن وثاب..، وقيل: هو من الدراهم القسيات أي: الفاسدة الرديئة; فمعنى (قَسِيَّة) على هذا ليست بخالصة الإيمان، أي: فيها نفاق. قال النحاس: وهذا قولٌ حسن؛ لأنَّه يُقال: درهم قَسِيٌّ إذا كان مغشوشًا بنحاسٍ أو غيره"(١).

وما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣] حيث قال: "ظلمات البر والبحر أي: شدائدهما; يُقال: يومٌ مظلم أي: شديد. قال النحاس: والعرب تقول: يومٌ مظلم إذا كان شديدًا"(٢).

٣- البحر المحيط لأبي حَيَّان محمد بن يوسف بن علي المعروف بأبي حَيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، الذي أفاد من كتاب ((معاني القرآن)) لأبي جعفر النحاس في عِدَّة مواضع من كتابه، منها: ما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] حيث قال: "الخيل المُسَوَّمة أي: الراعية في المروج، ساكت: سرحت، وأخذت سومها من الرعي.. وقال السُدِّي: هي الرائقة من سيما الحُسْن. وقال عكرمة: سومها الحُسْن، واختاره النحاس"(٣).

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٠/٧)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٢٨١/٢).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤١٢/٨)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٤٣٩/٢).
(٣) البحر المحيط (٢٢٧/٥)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٣٦٧/١).

وما جاء عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥] حيث ذكر القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿بَـِٔيسٍۭ﴾ وكان كتاب ((معاني القرآن)) لأبي جعفر النحاس أحد مصادره(١).

المبحث الثالث: الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))

وفيه دراسة للآيات الآتية:

الآية الأولى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ...﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال النحاس: "قوله جلَّ وعز: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ يعني: منعتم عن إتمامهما. وفي الإحصار قولان:

أحدهما: قاله ابن عمر، وهو مذهب أهل المدينة، قال: لا يكون إلاَّ من عدو. قال أبو جعفر: والقول الآخر قاله ابن مسعود، وهو قول أهل الكوفة، أنَّه من العدو، ومن المرض، وأنَّ من أصابه من ذينك شيءٌ بعث بهدي، فإذا نُحِرَ حَلَّ.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله. وروى طاووس عن ابن عباس مثل الأول، قال: وتلا ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾، قال: نُهِلُ الأمن إلاَّ من خوف؟

فقد صار في الآية إشكال؛ لأنَّ الاحصار عند جميع أهل اللغة(٢) إنما هو من المرض، الذي يحبس عن الشيء، فأمَّا من العدو، فلا يقال فيه إلاَّ: ((حُصِرَ)). يُقال: حُصِرَ، حَصْرًا، وفي الأول: أُحْصِرَا، إحصارًا.

---

(١) البحر المحيط (٣٦٩/١٠)، وانظر: معاني القرآن للنحاس (٩٥/٣).

(٢) ثَمَّة خلاف بين أهل العلم في معنى الحصر والإحصار هل هما بمعنىً واحد، أم بينهما فرق، وسيأتي بيان القولين.

والقول في الآية على مذهب ابن عمر أنه يُقال: ((أَقْتَلْتُ الرَّجُلَ)) أي: عَرَّضْتُه للقتل، و ((أَحْصَرَهُ)): جعل له قبرًا، وأحصرتهُ -على هذا- عَرَّضْتُه للحبس، وأُحْصِرَ، أي: أُصِيبَ بما كان مُسببًا للحصر، وهو فوت الحج"[1].

(١) معاني القرآن (١/١١٥-١١٧).

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال في الآية هو الاختلاف في المعنى اللغوي للإحصار(١)، وهل الإحصار لا يكون إلاَّ من مرض، أم يكون بغيره، وهي مسألة مشهورة عند أهل العلم اختلفوا فيها على قولين:

القول الأول: من فَرَّق بين الإحصار والحَصْر، وقالوا: إنَّ الإحصار من المرض، والحَصْرُ من العدو، وعليه أكثر أهل اللغة، وممَّن قال بهذا: الكسائي[٢]، وأبو عبيدة[٣]، والأخفش الأوسط[٤]، وابن قتيبة[٥]. وقال ابن فارس: حَصَرهُ المرض وأَحصَرهُ العدو[٦].

---

(١) الإحصـــار لغةً: المنع والحبس. انظر: معجم مقاييس اللغة (٧٢/٢)، ولســـان العرب (١٩٥/٤).
واصطلاحًا: عند الحنفية: اسمٌ لمن أحرم ثم مُنِعَ عن المضي في موجب الإحرام، سواء كان المنع من العدو، أو المرض، أو الحبس، أو الكسر، أو العرج، وغيرها من الموانع من إتمام ما أحرم به حقيقةً أو شـرعًا. بدائع الصـنائع (١٨٥/٣). وعند المالكية: منع المحرم عن البيت بسـبب عدوٍ كافر، أو فتنة بين المسـلمين، أو لحبسـه ظُلمًا. انظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (٩٣/٢). وعند الشافعية: منع المحرم من إتمام الحج والعمرة. انظر: نهاية المحتاج (٣٦٢/٣). وعند الحنابلة: منع المحرم من الوصـول إلى البيت بسبب العدو، أو بسبب عدم وجود الطريق الآمن. انظر: المغني (١٩٤/٥). وممّا سـبق فإنَّ الإحصـار: هو منع المحرم من الوصـول إلى البيت الحرام لأداء الحج أو العمرة لسببٍ ظاهر كالعدو، أو لسببٍ باطن كالمرض، ونحو ذلك من الموانع.
(٢) معاني القرآن (ص٨٦).
(٣) مجاز القرآن (٦٩/١)، وانظر: الفروق اللغوية (ص١١٥).
(٤) معاني القرآن (ص١٧٤).
(٥) غريب القرآن (ص٧٨).
(٦) المجمل (٢٣٨/١).

القول الثاني: أنَّهما بمعنىً واحد ولا فرق بينهما، وممَّن قال بهذا: الفَرَّاء[١]، والزَجَّاج[٢]، وأبو حَيَّان[٣].

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

نَصَّ على وجود الإشكال في هذه الآية ابن العربي المالكي بقوله: "هذه آيةٌ مشكلةٌ عُضْلةٌ من العُضَل"[٤].

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

بناءً على الاختلاف في المعنى اللغوي للإحصار، فقد اختلف أهل العلم من الفقهاء والمفسرين في المراد بالإحصار المانع من أداء النسك والمبيح للتحلل على قولين:

القول الأول: أنَّ الإحصار بالعدو دون المرض، وهو قول ابن عمر[٥]، وابن عباس[٦]، وإليه ذهب جمهور أهل العلم من المالكية[٧]، والشافعية[٨]، والحنابلة[٩]،

(١) معاني القرآن (١/١١٧-١١٨).
(٢) معاني القرآن وإعرابه (١/٢٦٧).
(٣) البحر المحيط (٣/٤٥١).
(٤) أحكام القرآن (١/١٧٠).
(٥) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٨/٢٣٧) برقم (١٣٧٣٦).
(٦) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٨/٢٣٧) برقم (١٣٧٣٤).
(٧) انظر: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك (٢/١٣٣).
(٨) انظر: الحاوي في فقه مذهب الإمام الشافعي (٤/٣٥٧).
(٩) انظر: منتهى الإرادات (٢/١٨٠).

وممن اختاره: الواحدي[١]، والسمعاني[٢]، وابن العربي[٣]، والرازي[٤]، والشنقيطي[٥].

واستدلوا بأدلةٍ منها:

١- أنَّ الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِ ...﴾ نزلت في صَدِّ المشركين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهم محرمون بعمرة عام الحديبية[٦].

٢- لسياق الآية، حيث جاء في لِحَاقها قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾، والأمن لا يكون إلاَّ عن زوال الخوف، والخوف لا يكون إلاَّ عدو، ولا يُقال ذلك في المرض.

القول الثاني: أنَّ الإحصار بكل مانعٍ من عدوٍ، أو مرضٍ، أو غيرهما من الموانع، وهو قول عطاء[٧]، ومجاهد[٨]، وقتادة[٩]، وإليه ذهب أبو حنيفة[١٠]، وممن

(١) انظر: التفسير البسيط (١٣/١).
(٢) انظر: تفسير القرآن (١٩٦/١).
(٣) انظر: أحكام القرآن (١٧٣/١).
(٤) انظر: التفسير الكبير (١٥٦/٣-١٥٩).
(٥) انظر: أضواء البيان (١٥٢/١).
(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (ص٢٤٠-٢٤١)، كتاب الحج، باب إذا أُحصِرَ المعتمر، حديث رقم (١٨٠٧)، ومسلم (٥٤١/١)، كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، حديث رقم (١٢٠١).
(٧) انظر: المصنف لابن أبي شيبة (٢٣٧/٨) برقم (١٣٧٣٤).
(٨) انظر: جامع البيان (٣٤٢/٣-٣٤٣).
(٩) انظر: جامع البيان (٣٤٣/٣).
(١٠) انظر: بدائع الصنائع (١٨٦/٣).

اختاره: ابن قتيبة[١]، وابن جرير الطبري[٢]، والسمرقندي[٣]، وابن أبي زمنين[٤]، والراغب الأصفهاني[٥]، والقرطبي[٦]، والنسفي[٧]، وابن تيمية[٨]، والألوسي[٩]، والسعدي[١٠][١١].

واستدلوا بأدلةٍ منها:

١- قوله صلى الله عليه وسلم: ((من كُسِرَ أو مَرِضَ أو عَرَجَ فقد حَلَّ، وعليه حَجَّةٌ أخرى من قابل)) [١٢].

٢- ما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه أفتى رجلاً لُدِغَ بأنَّه مُحصَر[١٣].

والراجح –والله تعالى أعلم- أنَّ الإحصار يكون من العدو، أو المرض، أو أي مانعٍ يمنع عن الوصول إلى البيت الحرام لأداء الحج أو العمرة؛ وذلك للآتي:

أولاً: قوله صلى الله عليه وسلم: ((من كُسِرَ أو مَرِضَ أو عَرَجَ فقد حَلَّ، وعليه حَجَّةٌ أخرى من قابل)).

---

(١) غريب القرآن (ص٧٨).
(٢) انظر: جامع البيان (٣٤٧/٣).
(٣) انظر: بحر العلوم (١٩١/١).
(٤) انظر: تفسير القرآن العزيز (٢٠٧/١).
(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن (ص١٢٠).
(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٧٢/٣).
(٧) انظر: مدارك التنزيل (١٦٧/١).
(٨) انظر: الاختيارات الفقهية (ص١٧٧).
(٩) انظر: روح المعاني (١٧٦/٣).
(١٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٩٠).
(١١) انظر: تفسير سورة البقرة (٣٩٩/٢).
(١٢) أخرجه أبو دواد (ص٣٢٣)، باب الإحصار، حديث رقم (١٨٦٢)، وصَحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٢/٢) برقم (٦٥٢١).
(١٣) قال ابن حجر: أخرجه ابن جرير بإسنادٍ صحيح عنه. انظر: فتح الباري (٥/٤).

ثانيًا: أنَّ الآية وإن كانت نازلةً في حصر المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، فيُقاس على ذلك كل سببٍ يمنع عن أداء النسك، والقاعدة المقررة عند أهل العلم: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(١).

ثالثًا: أنَّ الله تعالى أطلق الإحصار ولم يُقيّده؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾، فظاهر الآية شمول الإحصار لكل مانعٍ من إتمام النسك.

رابعًا: أنَّ العِلَّة من أداء النسك وإتمامه مشتركة بين المحصر بالعدو والمحصر بالمرض.

خامسًا: هذا القول فيه رفعٌ للحرج عن المكلفين، وتيسيرٌ على الحجاج والمعتمرين، وقد دلت نصوص الكتاب والسُنَّة على هذا المقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال عَزَّ وجل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

الآية الثانية: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

قال النحاس: " قال جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، قال أبو جعفر: وهذه الآية من المشكل، وقد قيل فيها أقوال:

روى عبد الكريم الجزري عن مجاهد أنه قال: وللرحمة خلقهم. وكذلك قال قتادة.

(١) انظر: البحر المحيط للزركشي (١٩٨/٣)، والإتقان (١٩٦/١)، والقواعد الحِسان (ص١٨)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (٥٤٥/٢).

وروي عن الحسن فيها أقوال: منها: أنه قال وللاختلاف خلقهم. ومنها: أنه يقال وللرحمة خلقهم. ومنها: أنه قال خلقهم للجنة والنار، والشقاء والسعادة. وقيل هذا القول الذي عليه أهل السُنَّة، وهو أبينها وأجمعها.

والذي رواه عبد الكريم عن مجاهد ليس بناقضٍ له؛ لأنَّه قد بيَّنه حجاج في روايته عن ابن جريج، عن مجاهد أنه قال في قول الله جلَّ وعز: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: أهل الباطل، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: أهل الحق، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للرحمة خلق أهل الجنة.

قال أبو جعفر فهذا قول بَيِّنٌ مُفسِّرٌ. ومن قال أيضًا: خلقهم للاختلاف، فليس بناقضٍ لهذا؛ لأنَّه يذهب إلى أن المعنى: وخلق أهل الباطل للاختلاف.

وأبينها قول الحسن الذي ذكرناه، ويكون المعنى: ولا يزال أهل الباطل مختلفين في دينهم، إلا من رحم الله، وأهل الإسلام لا يختلفون في دينهم، ولذلك خلق أهل السعادة للسعادة، وأهل الشقاء للشقاء، وبَيَّن هذا قوله جلَّ وعز: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وقيل: التقدير: ((ينهون عن الفساد في الأرض، ولذلك خلقهم))"[1].

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس إشكال معنى الآية، ووجهه: إخباره سبحانه بأنَّه لو شاء لجعل الناس كلهم على دين الإسلام، ولكن اقتضت حكمته ومشيئته أن يكونوا مختلفين، فمنهم كافر ومنهم مؤمن، ومنهم شقيٌّ ومنهم سعيد؛ ولذلك خلقهم جَلَّ وعَلاَ؛ لذا يُقال: فكيف خلقهم للاختلاف، وهل معنى الاختلاف هو المقصود بخلقهم[2]، كما أنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، يُعارض في ظاهره قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(١) معاني القرآن (٣٨٨/٣-٣٩٠).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣٤/٥).

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال الرازي الحنفي(١)، والشنقيطي(٢).

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ على عِدَّة أقوال، بيانها كالآتي(٣):

القول الأول: أنَّهم مختلفون في أديانهم، قال عطاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: اليهود والنصارى والمجوس، والحنيفية هم الذين رَحِم ربُّك(٤).

القول الثاني: أنَّهم مختلفون في الحق والباطل، قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: أهل الحق وأهل الباطل، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أهل الحق(٥).

القول الثالث: أنَّهم مختلفون في الرزق، فهذا غنيٌ وهذا فقير، قال الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾: مختلفين في الرزق، سَخَّرَ بعضهم لبعض(٦).

وبالنظر إلى هذه الأقوال فإنَّ القول الثاني قريبٌ من القول الأول، وأمَّا القول الثالث فبعيدٌ عن معنى الآية(٧)؛ لذا فإنَّ الراجح هو القول الأول؛ لدلالة سياق الآية عليه.

---

(١) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص١٤٤).
(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص١٧٢).
(٣) انظر: النكت والعيون (٥١١/٢).
(٤) انظر: جامع البيان (٦٣٣/١٢).
(٥) انظر: المصدر السابق (٦٣٥/١٢).
(٦) انظر: المصدر السابق (٦٣٦/١٢).
(٧) انظر: المحرر الوجيز (٣٣/٥).

قال ابن جرير: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلاَّ من رَحِمَ رَبُّكَ، فآمن بالله وصدق رسله، فإنهَّم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله ، وما جاءهم من عند الله. وإنمَّا قُلتُ ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأنَّ الله جَلَّ ثناؤه أتبع ذلك قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ ففي ذلك دليلٌ واضح أنَّ الذي قبله من ذكر خبره عن اختلاف الناس، إنمَّا هو خبرٌ عن اختلاف مذموم يُوجب لهم النار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرزق لم يُعقِّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعذابهم"(١).

وهذا القول هو اختيار جمهور المفسرين، وممِّن اختاره: الزَجَّاج(٢)، والواحدي(٣)، والقرطبي(٤)، والخازن(٥)، وابن جُزي(٦)، وأبو حَيَّان(٧)، والشوكاني(٨)، وابن عاشور(٩).

واختلف المفسرون في المراد بقوله سبحانه: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ على عِدَّة أقوال، بيانها كالآتي(١٠):

(١) انظر: جامع البيان (٦٣٦/١٢-٦٣٧).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٨٤/٢).
(٣) انظر: التفسير البسيط (٥٨٧/١١).
(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٣٥/١١).
(٥) انظر: لُباب التأويل (٥٠٧/٢).
(٦) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٦١٥/٢).
(٧) انظر: البحر المحيط (٣٩٠/١٢).
(٨) انظر: فتح القدير (٧٤٢/٢).
(٩) انظر: التحرير والتنوير (١٩٨/١٢)..
(١٠) انظر: النكت والعيون (٥١١/٢).

القول الأول: للاختلاف خلقهم، قال الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للاختلاف. وعنه قال: خلق هؤلاء لجنته، وخلق هؤلاء لناره، وخلق هؤلاء لرحمته، وخلق هؤلاء لعذابه(١).

القول الثاني: للرحمة خلقهم، قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قال: للرحمة(٢)، وهو قول قتادة(٣).

القول الثالث: للسعادة والشقاء خلقهم، قال ابن عباس(٤) في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾: خلقهم فريقين فريقًا يُرحَمُ فلا يختلف، وفريقًا لا يُرحَمُ يختلف، وذلك قوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]. أي: إنَّ ثمرة اختلافهم يُؤديهم إلى السعادة أو الشقاء(٥)، واللام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ لام العاقبة والصيرورة، والتقدير: خلقهم ليصير أمرهم إلى ثمرة الاختلاف من الشقاوة والسعادة(٦).

والراجح من هذه الأقوال هو القول الأول والثالث، وهما متقاربان في المعنى، قال ابن جرير: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قولُ من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم؛ لأنَّ الله جَلَّ ذِكرهُ ذكر صنفين من خلقه: أحدهما: أهلُ اختلافٍ وباطل، والآخر: أهلُ حقٍّ، ثم عَقَّب ذلك بقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾، فعَمَّ بقوله:

(١) انظر: جامع البيان (٦٣٧/١٢)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ. انظر: الدُر المنثور (١٧٢/٨).
(٢) انظر: جامع البيان (٦٣٩/١٢).
(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣١٦/١).
(٤) انظر: جامع البيان (٦٣٨/١٢)، وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم. انظر: الدُر المنثور (١٧٢/٨).
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣١/٢)، والمحرر الوجيز (٣٣/٥).
(٦) انظر: البحر المحيط (٣٩١/١٢)، وروح المعاني (١٦٢/١٢).

﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريقٍ منهما أنَّه ميسرٌ لِمَا خُلِقَ له"[١].

وممِّن قال بهذا: ابن عباس، والحسن، ومالك بن أنس[٢]، واختاره جمعٌ من المفسرين، منهم: الفَرَّاء[٣]، وابن جرير[٤]، والزَجَّاج[٥]، والنحاس[٦]، والرازي[٧]، والقرطبي[٨]، والسعدي[٩].

ويدل على رُجحان هذا القول قوله تعالى بعده: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[١٠]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((ثم يبعث الله مَلَكًا فيُؤمر بأربع كلمات، ويُقال له: اكتب عملهُ، ورزقهُ، وأَجلهُ، وشقيٌّ أو سعيد..))[١١]. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم))[١٢].

(١) انظر: جامع البيان (١٢/٦٤٠-٦٤١).
(٢) انظر: جامع البيان (١٢/٦٣٧-٦٣٩).
(٣) انظر: معاني القرآن (٢/٣١).
(٤) انظر: جامع البيان (١٢/٦٤٠).
(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/٣١).
(٦) انظر: معاني القرآن (٣/٣٩٠).
(٧) انظر: التفسير الكبير (٩/٢٨٢).
(٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/٢٣٦).
(٩) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٣٩٢).
(١٠) انظر: معاني القرآن (٣/٣٩٠)، والتفسير الكبير (٩/٢٨٣).
(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٨).
(١٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يُولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، حديث رقم (٢٦٦٢).

ولا تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وقوله جَلَّ ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يُراد به إرادة الله الكونية التي تتعلق بما أراده الله وقدَّره سواء كان هذا المراد محبوبًا أو مكروهًا إليه، فهو سبحانه خلق عباده وجعلهم مختلفين في أديانهم ومذاهبهم وآرائهم، وأراد بإرادته الكونية القدرية صيرورة قومٍ إلى السعادة، وصيرورة قومٍ إلى الشقاوة.

وأمَّا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فيُراد به إرادة الله الشرعية، وهي التي تتعلق بما يُحبه الله ويرضاه سواء وقع أم لم يقع، وهو جَلَّ وعَلاَ خلق الجن والإنس لعبادته وتوحيده وأراد ذلك منهم، فعبده وحده لا شريك له من وفقه الله ورحمه، فهؤلاء هم السعداء من أهل الجنة، وامتنع عن عبادته من خذله الله فهؤلاء هم الأشقياء من أهل النار، والله تعالى أعلم(١).

الآية الثالثة: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٥].

قال النحاس: " قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ هذه الآية مشكلة، وفيها أقوال:

قال مجاهد والضَحَّاك: هذا المثل لله جل ذكره، ومن عُبِدَ من دونه. وقال قتادة: هذا المثل للمؤمن والكافر، يذهب قتادة الى أنَّ العبد المملوك هو الكافر؛ لأنَّه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى أنَّ معنى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ المؤمن.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٦/٤)، ودفع إيهام الاضطراب (ص١٧٣).

وقال بعض أهل اللغة[١]: القول الأول أحسن؛ لأنَّه وقع بين كلامين لا نعلم بين أهل التفسير اختلافًا -إلاَّ من شَذَ منهم- أنَّهما لله جلَّ وعز، وهما ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، وبعده ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾ يعني الوثن؛ لأنه كَلٌّ على من عنده وثِقَلٌ. والمولى: الولي"[٢].

الدراسة:

استشكل النحاس هذه الآية ولم أجد غيره من المفسرين أورد هذا الإشكال، وإنمَّا اختلف المفسرون في المراد بالمَثَل الذي ضَرَبهُ الله عَزَّ وجل في هذه الآية الكريمة لبيان بطلان الشرك على قولين بيانهما كالآتي:

القول الأول: أنَّ هذا المَثَل ضَرَبه الله تبارك وتعالى لنفسه ولمن عُبِدَ من دونه، وهو قول مجاهد، والضَحَّاك، وهو اختيار أكثر المفسرين، وممن اختاره: ابن قُتيبة[٣]، وابن عطية[٤]، والرازي[٥]، والقرطبي[٦]، والبيضاوي[٧]، وابن جُزي[٨]،

(١) معاني القرآن (٤/٩١-٩٢).
(٢) ابن قتيبة في كتابه ((تأويل مشكل القرآن)) (ص٣٨٤).
(٣) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص٣٨٥).
(٤) انظر: المحرر الوجيز (٥/٣٨٨).
(٥) انظر: التفسير الكبير (١٠/٢٩١).
(٦) بدأ بالقول الأول، وأتبعه بذكر القول الثاني، ثم قال: والأول عليه الجمهور من أهل التأويل. انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٨٢).
(٧) انظر: أنوار التنزيل (٢/٢٧٢).
(٨) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٧٦٥).

والخازن[١]، وابن القيم[٢]، والكوراني[٣]، والشوكاني[٤]، والألوسي[٥]، والسعدي[٦].

القول الثاني: أنَّ هذا المَثَل ضَرَبه الله للمؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس، وقتادة[٧]، واختاره من المفسرين: مقاتل بن سليمان[٨]، وابن جرير[٩]، والثعلبي[١٠]، والبغوي[١١] رحمهم الله.

والقول الأول هو أرجح القولين؛ لدلالة سِباق الآية وسِياقها ولِحاقها عليه. قال ابن قتيبة: "والتفسير الأول أعجبُ إليَّ؛ لأنَّ المثل توسط كلامين هما لله تعالى"[١٢].

وقال ابن عطية مصوبًا هذا الاختيار: "وهذا التأويل أصوب؛ لأنَّ الآية تكون من معنى ما قبلها وبعدها في تبين أمر الله والرد على أمر الأصنام"[١٣].

وقال الرازي: "واعلم أن القول الأول أقرب؛ لأنَّ ما قبل هذه الآية وما بعدها إنما ورد في إثبات التوحيد، وفي الرد على القائلين بالشرك، فحمل هذه الآية على هذا المعنى أولى"[١٤].

---

(١) انظر: لُباب التأويل (٣/٩٠).
(٢) انظر: إعلام الموقعين (٢/٢٨٣-٢٨٤).
(٣) انظر: غاية الأماني (٤/٢٢٢).
(٤) انظر: فتح القدير (٣/٢٥٠).
(٥) انظر: روح المعاني (١٤/٢٢٣).
(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٤٤٥).
(٧) انظر: جامع البيان (١٤/٣٠٨).
(٨) انظر: تفسير مقاتل (٢/٤٧٨).
(٩) انظر: جامع البيان (١٤/٣١٣).
(١٠) انظر: الكشف والبيان (١٦/٨٧).
(١١) انظر: معالم التنزيل (٥/٣٣).
(١٢) تأويل مشكل القرآن (ص٣٨٥).
(١٣) المحرر الوجيز (٥/٣٨٨).
(١٤) التفسير الكبير (١٠/٢٩١).

والقول الثاني من لوازم القول الأول، قال ابن القيم: "والقول الأول: أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبًا بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٣-٧٤]، ثم قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾. ومن لوازم هذا المثل وأحكامه: أن يكون المؤمن الموحد كمن رَزَقهُ الله رِزقًا حسنًا، والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء. فهذا مما نَبَّه عليه المَثَل وأرشد إليه. فذكره ابن عباس رضي الله عنهما مُنبهًا على إرادته، لا أنَّ الآية اختصت به"[1].

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/٢٨٣-٢٨٤).

الآية الرابعة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء:٥٩].

قال النحاس: "قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ هذه آيةٌ مشكلة، وفي الكلام حذفٌ. والمعنى: ما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحتموها، إلاَّ أن تُكذِّبوا بها فتهلكوا، كما فُعِلَ بمن كان قبلكم. وقد أَخَّرَ الله أمر هذه الأمة الى يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦] "(١).

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس إشكال معنى الآية، ووجهه: أنَّ المولى تبارك وتعالى أخبر بأنَّه ما منعه من إرسال الآيات التي سألها كفار قريش إلاَّ تكذيب الأمم السابقة، وإذا كان سبب منع إرسال الآيات إلى كفار قريش هو تكذيب من سبقهم بها، فإنَّ علمه عَزَّ وجل بتكذيب الآخرين كعلمه بتكذيب الأولين، وعلمه سبحانه بتكذيب الأولين بالآيات لم يمنعه من إرسالها إليهم، فما وجه امتناعه جَلَّ وعلا عن إرسال الآيات، وهو سبحانه لا مانع له عن شيء؟

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال عددٌ من المفسرين، منهم: الماتريدي(٢)، والواحدي(٣)، والسمعاني(٤)، والرازي الحنفي(٥).

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

الجواب الأول: إنَّ معنى الآية: وما صرفنا عن إرسال ما سأله كفار قريش من الآيات إلاَّ تكذيب من سبقهم من الأمم، فإذا كذبوا بالآيات كما كذَّب بها الأولون

(١) معاني القرآن (١٦٦/٤-١٦٧).
(٢) انظر: تأويلات أهل السُنَّة (١٧٠/٣).
(٣) انظر: التفسير البسيط (٣٧٤/١٣).
(٤) انظر: تفسير القرآن (٢٥٣/٣).
(٥) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص١٩٢).

لاستوجبوا عذاب الاستئصال؛ لأنَّ من سُنته تبارك وتعالى في الأمم السابقة أنَّهم إذا سألوا الآيات ثم لم يُؤمنوا بها بعد إتيانها فإنَّهم لا يُمهلوا بل يُعاجلوا بعذاب الاستئصال، وأمَّا كفار هذه الأمة فقد قضت حكمة الله أن لا يستأصلهم، بل يُمهلهم والساعة هي موعدهم، كما قال عَزَّ وجل: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [سورة القمر: ٤٦]. وبهذا أجاب النحاس، وبه قال عامة المفسرين(١).

قال ابن جرير في بيان معنى الآية: "وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألها قومك، إلاَّ أنَّ كان من قبلهم من الأمم المكذبة سألوا ذلك مثل سؤالهم، فلمَّا أتاهم ما سألوا منه كَذَّبوا رسلهم، فلم يُصدِّقوا مع مجيء الآيات، فعُوجِلوا فلم نُرسل إلى قومك بالآيات؛ لأنَّا لو أرسلنا بها إليها فكَذَّبوا بها، سلكنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأُمم قبلها"(٢).

والمراد بالمنع في الآية المبالغة في عدم فعل ذلك، فكأنه قد مُنِعَ منه(٣). وسبب الامتناع من إرسال الآيات التي سألها كفار قريش إنما هو تكذيب من قبلهم، وقد عُوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم، وكفار هذه الأُمة أَخَّرَ الله عذابهم إلى يوم القيامة.

والآيات التي أخبر الله تعالى بامتناعه عن إرساله كما سألوا ليست الآيات الدَّالة على صدق نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم، وإنمَّا هي تلك الآيات التي اقترحوها على سبيل العناد والمكابرة فلم يُجابوا إليها لحكمته جَلَّ وعلا ورحمته بهذه الأُمة، قال ابن تيمية: "وقد تقتضي الحكمة أن لا يُرسل بالآيات التي تُوجب عذاب الاستئصال، كما ذكره الله في كتابه من أنَّ الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها، فتارةً يُجيبهم الله إلى ذلك؛ لِمَا فيه من الحكمة،

---

(١) انظر: جامع البيان (٦٣٥/١٤)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢٤٧/٣)، والكشف والبيان (٣٦٦/١٦-٣٧٦)، والتفسير البسيط (٣٧٤/٣)، ومعالم التنزيل (١٠٢/٥)، والكشاف (٥٢٦/٣)، والمحرر الوجيز (٥٠١/٥)، وزاد المسير (٥١/٥)، والتفسير الكبير (٤٢٦/١٠)، وأنوار التنزيل (٣٠٧/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٨١٥/٢)، ولُباب التأويل (١٣٤/٣)، والبحر المحيط (١١٤/١٤)، وتفسير القرآن العظيم (٩١/٥)، وروح المعاني (٥٧٠/١٤).

(٢) جامع البيان (٦٣٥/١٤).

(٣) انظر: التفسير البسيط (٣٧٤/١٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٠٩/١٣).

والمصلحة، وتارةً لا يجيبهم لِمَا في ذلك من المَضَرَّة والمفسدة... وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبةً منه في إيمانهم بها؛ فيُجاب بأنَّ الآيات لا تستلزم الهدى، بل تستلزم إقامة الحُجَّة، وتُوجب عذاب الاستئصال لمن كَذَّبَ بها.... وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ بَيَّنَ سبحانه أنَّ ما منعه أن يرسل بالآيات إلاَّ تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك، فإذا كَذَّبَ بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال، وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث، وغيرها من كتب المسلمين، وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان"[(١)].

وقال ابن القيم: "وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي: آيات الاقتراح، لا الآيات الدَّالة على صدق الرُسل التي يُقيمها هو -سبحانه- ابتداءً... فأخبر -سبحانه- عن حكمته في الامتناع من إرسال رُسله بآيات الاقتراح والتَشهِّي، وهي أنَّها لا تُوجب الإيمان، فقد سألها الأولون، فلمَّا أُوتوها، كَذَّبوا بها؛ فأُهلكوا، فليس لهم مصلحة في الإرسال بها، بل حكمته -سبحانه- تأبى ذلك كل الإباء"[(٢)].

الجواب الثاني: أنَّ في الآية حذف، والتقدير: وما منعنا أن نُرسل بالآيات التي اقترحوها إلاَّ أن يُكذِّبوا بها فيهلكوا كما فُعِلَ بمن كان قبلهم، وهذا الجواب أورده النحاس، والسمعاني[(٣)]، والقرطبي[(٤)].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بَدَّلَ دين المسيح (٦/٤٣٠، ٤٣٢).

(٢) شفاء العليل (٢/١٣٤-١٣٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن (٣/٢٥٣).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٠٨).

الجواب الثالث: إنَّ معنى الآية: إنَّ كفار قريش مقتدون بمن سبقهم من المكذبين، الذين رأوا الآيات ولم يُؤمنوا بها، وإذا كان حالهم كحال من سبقهم المكذبين فإنَّ إرسال الآيات إليهم عبث، والله تعالى منزهٌ عن العبث(١).

وهذا الجواب فيه نظر، فإنَّ الله تعالى يُرسل الرسل بالآيات البينات من باب إقامة الحُجَّة على العباد، ولو كان في سابق علمه أنَّهم يُكذِّبون برسله وآياته، وليس ذلك من باب العبث، بل الإعذار والإنذار وإقامة الحُجَّة، وهذا من كمال عدله جَلَّ جلاله، قال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٥]، وقال عَزَّ وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [سورة الإسراء: ١٥].

والجواب الأول هو الراجح من أجوبة المفسرين لدفع الإشكال عن الآية، لِمَا يلي:

أولاً: أنَّه قول عامة المفسرين.

ثانيًا: أنَّ هذا الجواب يُؤيده سبب النزول الذي رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن يُنحِّي الجبال عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئتَ أن تستأنيَ بهم، وإن شئتَ أن نُؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلِكُوا كما أَهلكتُ من قبلهم. قال: ((لا، بل أستأني بهم))، فأنزل الله عَزَّ وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء: ٥٩](٢).

ثالثًا: دلالة السياق، فإنَّها سيقت لبيان رحمة الله تعالى بهذه الأُمة، وأنَّه تبارك وتعالى لم يُرسل الآيات التي سألها كفار قريش ثم يكفروا بها، فيكون جزاؤهم جزاء من سبقهم من الأمم المكذبة، قال السمعاني: "وتلخيص الجواب: أنَّ الأولين اقترحوا الآيات فلمَّا أُعطوا كَذَّبوها فأُهلكوا، فلو أعطينا هؤلاء الآيات المقترحة وكَذَّبوا بها

(١) انظر: التفسير الكبير (٤٢٦/١٠)، واللُباب في علوم الكتاب (٣١٨/١٢)، وفتح القدير (٣٣٠/٣)، وروح المعاني (٥٧٠/١٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٣/٤)، وابن جرير في تفسيره (٦٣٥/١٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص٤٧٦)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

عاجلناهم بالعذاب، وقد حكمنا بإمهالهم، والدليل على صحة هذا الجواب أنَّه قال: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ أي: آيةً نَيِّرة مضيئة، أو آيةً يُبصر بها الحق، وقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ أي: كَذَّبوا بها، فعُوجلوا بالعقوبة. فهذا المراد، وإن كان غير مذكور"[1]، والله تعالى أعلم.

(١) تفسير القرآن (٣/٢٥٣).

الآية الخامسة: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ [الحج:١٢-١٣].

قال النحاس: "قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾، ثم قال بعدُ: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾، فيُقال: كيف يكون له ضَرٌّ، وقد قال: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾؟

فالجواب أنَّ المعنى: يدعو لَمَن ضُرُّ عبادته. فإن قيل: كيف قال: ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ ولا نَفَعَ لهُ؟

فالجواب: أنَّ العرب تقول لِمَا لا يكون البَتَّة: هذا بعيدٌ، مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

وفي الآية أجوبة من أجل اللام: فأكثر النحويين يذهب إلى أنهَّا في غير موضعها، وأنَّ المعنى: يدعو مَنْ لَضَرُّه أقرب من نفعه. وقال أبو العباس: في الكلام حذفٌ، أي: يدعو لمن ضَرُّه أقربُ من نفعه إلهًا[١].

وقيل: ﴿يَدْعُواْ﴾ ههنا بمعنى (يقول)، كما قال عنترة:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كأنَّهاأَشْطَانُ بئرٍ في لَبَانِ الأَدْهَمِ

وقال أبو إسحاق[٢]: يجوز أن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾ في موضع الحال، وفيه هاءٌ محذوفة، ويكون خبر (مَنْ) ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾. قال الفرَّاء[٣]: يجوز أن

(١) معاني القرآن للأخفش الأوسط (٤٥٠/٢).
(٢) يقصد الإمام الزجاج في كتابه: معاني القرآن وإعرابه (٤١٥/٣).
(٣) معاني القرآن (٢١٨/٢).

يكون ﴿يَدۡعُواْ﴾ خبر (مَنْ) ويكون ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ مكرَّرةٌ على ما قبلها. ولأبي إسحق قول آخر -وزعم أنَّ النحويين أجازوه- قال: يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى: (الذي) أي: الذي هو الضلال البعيد، ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾، وأنشد:

عَدَسْ مَا لعَبَّادٍ عَلَيْكِ إمَارَةٌ أَمِنْتِ وَهَذَا -تَحْمِلينَ- طَلِيقُ

وحكى الفَرَّاء[1]: أنَّه يجوز في هذا شيءٌ لم يتقدم به أثر، وهو (يَدْعُوْ لَمِنْضَرَّهُ) بكسر اللام بمعنى: يدعو إلى مَنْ ضَرُّهُ، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ أي: إلى هذا.

قال أبو جعفر: والآية مشكلةٌ لدخول اللام، وإنَّ الحُذَّاق من النحويين يمنعون أن يُنوى بها تقديمٌ أو تأخيرٌ؛ لأنَّها لا تُصرف، وأن يكون ﴿يَدۡعُواْ﴾ بمعنى: (يقول) حسنٌ، والخبر محذوف أي: يقول لمن ضَرُّهُ أقربُ من نفعِهِ له"[2].

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده الإمام النحاس هو موهم التعارض بين الآية (١٢) والآية (١٣) من سورة الحج، ووجه الإشكال: يتعلق بصيغة التفضيل ((أقرب)) المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ فظاهر الآية يدل على أنَّ لهذه المعبودات -من دون الله- نفعًا وضَرًّا، لكنَّ ضَرَّها أقربُ من نفعها، وهذا يُوهم التعارض مع الآية التي قبلها، وهي قوله عَزَّ وجل: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾، فما وجه الجمع بين الآيتين؟

(١) معاني القرآن (٢/٢١٧).
(٢) معاني القرآن (٤/٣٨٤-٣٨٦).

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال جمعٌ من المفسرين، ومن هؤلاء العلماء: الزَجَّاج(١)، والسمرقندي(٢)، والسمعاني(٣)، والبغوي(٤)، والزمخشري(٥)، والرازي(٦)، والرازي الحنفي(٧)، والنسفي(٨)، وابن جُزي(٩)، والنيسابوري(١٠)، والشنقيطي(١١).

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

الجواب الأول: أنَّ قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ جاء على عادة العرب في كلامها فإنَّهم يقولون لِـمَا لا يكون حصوله البتة: هذا بعيدٌ، مثل قوله عَزَّ وجل: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ أي: لا رجع أصلاً.

وأفعل التفضيل في قوله سبحانه: ﴿أَقۡرَبُ﴾ لا يُراد منها المقارنة بين قريبين، بل جاءت لبيان أنَّ أحد الأمرين قريبٌ وحاصل وهو الضر، والآخر بعيدٌ وغير

(١) انظر: معاني القرآن (٤١٥/٣).
(٢) انظر: بحر العلوم (٣٨٧/٢).
(٣) انظر: تفسير القرآن (٤٢٥/٣).
(٤) انظر: معالم التنزيل (٣٦٩/٥).
(٥) انظر: الكشاف (١٨٠/٤).
(٦) انظر: التفسير الكبير (١٧/١٢).
(٧) انظر: أنموذج جليل في أسئلة واجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٣٢).
(٨) انظر: مدارك التنزيل (٤٣١/٢).
(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٨٣/٣).
(١٠) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦٨/٥).
(١١) انظر: أضواء البيان (٤٨/٥).

حاصل وهو النفع[١]. وهذا جواب الزجاج[٢]، وأورده النحاس[٣]، والسمرقندي[٤]، والواحدي[٥]، والسمعاني[٦]، وابن الجوزي[٧]، والرسعني[٨].

قال الزَجَّاج: "العرب تقول لِمَا لا يكون: هذا بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾"[٩].

وقال ابن عاشور: "وكونه أقرب من النفع كنايةً عن تمحضه للضر وانتفاء النفع منه؛ لأنَّ الشيء الأقرب حاصلٌ قبل البعيد، فيقتضي أَلاَّ يحصل معه إلاَّ الضر"[١٠].

الجواب الثاني: في قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ نفيٌ لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعًا أو ضرًا، وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها، فلا يملك معبودٌ لنفسه ولا لعابديه نفعًا ولا ضرًا، ولا يقدر على ذلك، ولا يستطيع فعله أبدًا، وهذا هو المنفي. وأمَّا المثبت في قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ فهو اسم مضاف إليه، فإنَّه لم يقل يضر أعظم مما ينفع؛ بل قال: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ والشيء يُضاف إلى الشيء بأدنى ملابسة،

---

(١) استعمال أفعل التفضيل مع عدم إرادة التفضيل معروفٌ في اللغة. انظر: شرح الكافية الشافية (١١٤٣/٢).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٥/٣).
(٣) انظر: معاني القرآن (٣٨٤/٤).
(٤) انظر: بحر العلوم (٣٨٧/٢).
(٥) انظر: التفسير البسيط (٣٠٤/١٥).
(٦) انظر: تفسير القرآن (٤٢٥/٣).
(٧) انظر: زاد المسير (٤١٢/٥).
(٨) انظر: رموز الكنوز (١٩/٥).
(٩) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤١٥/٣).
(١٠) التحرير والتنوير (٢١٦/١٧).

فقد يُضاف إلى محله أو زمانه أو مكانه أو سبب حدوثه، وإن لم يكن فاعلاً، كقوله سبحانه: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فنسب الإضلال إليهنَّ، والإضلال هو ضررٌ لمن أضللنه، قاله ابن تيمية(١).

الجواب الثالث: أنَّ قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ يُراد به الذين يعبدون الأصنام، فالأصنام لا تنفع من عبدها، ولا تضر من كفر بها؛ لذا عَبَّرَ بـــ (ما) التي تأتي لِمَا لا يعقل، والأصنام لا تعقل. وقوله عَزَّ وجل: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ يُراد به من عُبِدَ من دون الله ممن ادَّعوا الألوهية كفرعون وغيره من الطُّغاة المعبودين، فهؤلاء وإن كان منهم نفعٌ في الدنيا لمن عبدهم إلاَّ أنَّ ضرر عبادتهم في الآخرة وما سيلاقونه من العذاب والخلود في النار أعظم وأقرب من النفع الدنيوي؛ ولهذا كان التعبير بـــ (مَنْ) التي هي لمن يعقل، وهذا جواب أبي حَيَّان(٢).

الجواب الرابع: أنَّ قوله تعالى: ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى: يقول(٣)، كما قال عنترة(٤):

يَـدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَـاحُ كـأنَّهـا أَشْـــطَـانُ بئرٍ في لَبَـانِ الأَدْهَمِ

قال الزمخشري: يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ، حين يرىاستضراره بالأصنام ودخوله النار بعبادتها، ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٦٩/١٥-٢٧٥). وانظر: التفسير الكبير (١٧/١٢)، ولُباب التأويل (٢٥٠/٣)، وغرائب القرآن (٦٨/٥)، واللباب في علوم الكتاب (٣٦/١٤)، والتحرير والتنوير (٢١٦/١٧).
(٢) انظر: البحر المحيط (٣٢١/١٥)، وتفسير القرآن العظيم (٤٠١/٥).
(٣) وهو قول الأخفش. انظر: معاني القرآن (ص٤٥٠).
(٤) انظر: ديوان عنترة (ص٢١٦).

لها ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ أي: لمن ضره بكونه معبودًا أقرب من نفعه بكونه شفيعًا[١]. وقد تَعَقَّبه ابن عطية[٢]، وأبو حَيَّان[٣]، والشنقيطي[٤].

قال ابن عطية: "وهذا قولٌ فيه نظر، فتأمل إفساده للمعنى إذ لم يعتقد الكافر قطُّ أنَّ ضرر الأوثان أقرب من نفعها"[٥].

الجواب الخامس: أنَّه سبحانه بَيَّن في قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ أنَّها في الحقيقة لا تضر ولا تنفع، ثُمَّ قال في الآية التي بعدها: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ أي: ولو سلَّمنا كونها ضارة نافعة فإنَّ ضرها أكبر من نفعها. وهذا جواب الرازي[٦]، وأورده القرطبي[٧]، وأبو حَيَّان[٨]، وابن عادل الحنبلي[٩]، والكوراني[١٠].

وبعد النظر في أجوبة المفسرين التي دفعوا بها الإشكال عن الآية الثالثة عشرة وجمعوا بينها وبين الآية التي قبلها يتبين أنَّ هذه الأجوبةٌ محتملة، عدا الجواب الرابع الذي أجاب به الزمخشري، وتعقبه غير واحدٍ من أهل العلم. ولعلَّ الجواب الأول هو أظهر هذه الأجوبة؛ لأنَّ الآية جاءت على عادة العرب في كلامها، ولدلالة آيةٍ قرآنية عليه، وهو قولٌ قال به جمعٍ من المفسرين، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: الكشاف (١٨٠/٤).
(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢٢٠/٦).
(٣) انظر: البحر المحيط (٣٢٢/١٥).
(٤) انظر: أضواء البيان (٤٩/٥).
(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢٢٠/٦).
(٦) انظر: أ التفسير الكبير (١٧/١٢).
(٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٣٢/١٤).
(٨) انظر: البحر المحيط (٣٢٢/١٥).
(٩) انظر: اللُّباب في علوم الكتاب (٣٦/١٤).
(١٠) انظر: غاية الأماني (١٠١٠/٤).

الآية السادسة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قال النحاس: "وهذه الآية مشكلة؛ لأنَّه قال جَلَّ وعَزَّ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧]؟

والجواب عن هذا -وهو معنى قول عبد الله بن عباس وإن خالف بعض لَفظِهِ والمعنى واحد- أنَّه إذا نفخ في الصور أول نفخة تَقطَّعت الأرحام، وصَعِقَ من في السموات ومن في الأرض، وشُغِلَ بعض الناس عن بعض بأنفسهم، فعند ذلك لا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون"(١).

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس هو موهم التعارض بين الآيتين، ووجه الإشكال: أنَّ الله تبارك وتعالى نفى في آية سورة المؤمنون التساؤل بين الناس يوم القيامة عند النفخ في الصور، بينما أثبته في آية سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، فما وجه الجمع بين الآيتين؟

(١) معاني القرآن (٤/٤٨٦-٤٨٧).

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال: أورد هذا الإشكال جمعٌ من المفسرين، منهم: الواحدي[١]، والسمعاني[٢]، والرسعني[٣]، والبيضاوي[٤]، وابن جُزي[٥]، والخازن[٦]، والشوكاني[٧]، والألوسي[٨]، والشنقيطي[٩].

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع موهم التعارض عن الآيتين:

أجاب عددٌ من أئمة التفسير عن التعارض الظاهر بين الآيتين بمثل ما أجاب به النحاس، ومستند ذلك ما رُوي عن سعيد بن جبير أنَّه قال: قال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، فقال ابن عباس: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفحة الأولى، ثم يُنفخ في الصور: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾[١٠].

ورُوي عنه رضي الله عنهما أنَّه قال: "إنَّها مواقف. فأمَّا الموقف الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا؛ فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون"[١١].

---

(١) انظر: التفسير البسيط (٦٨/١٦).
(٢) انظر: تفسير القرآن (٤٩١/٣).
(٣) انظر: رموز الكنوز (١٥٩/٥).
(٤) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٠/٢).
(٥) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٢٥٩/٣).
(٦) انظر: لُباب التأويل (٢٧٧/٣).
(٧) انظر: فتح القدير (٦٧٨/٣).
(٨) انظر: روح المعاني (١٤٥/١٨).
(٩) انظر: أضواء البيان (٨٩٩/٥)، ودفع إيهام الاضطراب (ص٢٣٠).
(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه عن المنهال بن عمرو مُعلَّقًا، في كتاب التفسير، سورة حم السجدة، (ص٦٨٠)، وابن جرير في جامع البيان (١١١/١٧).
(١١) أورده السيوطي في الدُر المنثور (٦٢٠/١٠)، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وبمثل ذلك أجاب الزَجَّاج[١]، والواحدي[٢]، والبيضاوي[٣]، وأبو حيَّان[٤].

وثَمَّة جوابٌ آخر لدفع موهم التعارض بين الآيتين أورده السيوطي في ((الإتقان))[٥] وهو: أنَّ السؤال المنفي المذكور في آية سورة المؤمنون المراد به سؤال بعضهم العفو من بعض. بل إنَّهم ليسألون بعضهم البعض ولو كان المسؤول أقرب الناس إلى السائل[٦].

ومستند ذلك ما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنهما أنَّه قال: "يُؤخَذ بيد العبد أو الأَمَة يوم القيامة على رؤوس الأولين والآخرين، قال: ويُنادي منادٍ: أَلاَ إنَّ هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حقٌ قبله فليأتِ إلى حَقِّه، قال: فتفرح المرأة يومئذٍ أن يكون لها حقٌ على ابنها، أو على أبيها، أو على أخيها، أو على زوجها، ثم قرأ ابن مسعود: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾"[٧].

ورُوي عن قتادة أنَّه قال: "ليس شيءٌ أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه؛ مخافة أن يذوب له عليه شيء، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]"[٨].

ولا تعارض بين الجوابين، فالناس يوم القيامة لهم أحوالٌ ومواقف، فتارةً لا يتساءلون وذلك بعد النفخة الأولى في الصور، وأخرى يتساءلون وذلك بعد النفخة الثانية في الصور، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٢/٤).
(٢) انظر: التفسير البسيط (٦٨/١٦).
(٣) انظر: أنوار التنزيل (٤٨٠/٢).
(٤) انظر: البحر المحيط (٤٨٧/١٥).
(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٤٧٤/٤).
(٦) انظر: دفع إيهام الاضطراب (ص٢٣١).
(٧) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (١١٢/١٧).
(٨) المصدر السابق (١١٤/١٧).

الآية السابعة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥].

قال النحاس: "هذه الآية مشكلة، وقد قال في موضع آخر: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. ولأهل التفسير فيها أقوال:

أ- من ذلك ما حَدَّثنا بكر بن سهل قال: حَدَّثنا عبدالله بن صالح قال: حَدَّثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: هذا في الدنيا، وقوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: فهذا يوم القيامة، جعله الله عزَّ وجل على الكفار مقدار خمسين ألف سنة.

ب- وحَدَّثنا عبدالله بن أحمد بن عبد السلام قال: حَدَّثنا أبو داود سليمان بن داود قال: حَدَّثنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عبد الرزاق قال: أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن وهب بن منبه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: ما بين أسفل الأرض إلى العرش.

ج- قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وفي ذلك قال: الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، لا يدري أحدٌ كم مضى منها ولا كم بقي؟

قال أبو جعفر: وقيل: يوم القيامة أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة.

قال أبو جعفر: يوم في اللغة بمعنى وقت، فالمعنى على هذا: تعرج الملائكة والروح إليه في وقتٍ مقداره ألف سنة، وفي وقتٍ آخر أكثر من ذاك، وعروجًا أكثر من ذاك، مقداره خمسون ألف سنة"(١).

(١) معاني القرآن (٥/٢٩٨-٣٠٠).

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس هو موهم التعارض بين الآيتين، ووجه الإشكال: أنَّ الله عَزَّ وجل أخبر في آية سورة السجدة بأنَّ تدبيره لأمره من السماء إلى الأرض، ثم عروج الملائكة إليه بذلك في يومٍ مقداره ألف سنة في حساب أهل الدنيا، بينما أخبر جَلَّ وعلا في آية سورة المعارج بأنَّ مقدار ذلك خمسين ألف سنة، فما وجه الجمع بين الآيتين؟

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال جمعٌ من المفسرين، منهم: السمعاني(١)، والرازي الحنفي(٢)، والقرطبي(٣)، والخازن(٤)، والشوكاني(٥)، والألوسي(٦)(٧).

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

الجواب الأول: أنَّ المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تدبير أمره تبارك وتعالى بنزوله من السماء إلى الأرض، ثم عروجه إليها في يومٍ مقداره ألف سنة في حساب أهل الدنيا. والمراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو مقدار يوم القيامة، جعله الله في مقدار خمسين ألف سنة.

(١) انظر: تفسير القرآن (٢٤٣/٤).
(٢) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٧٤).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١١/١٧).
(٤) انظر: لُباب التأويل (٤٠٢/٣).
(٥) انظر: فتح القدير (٣٢٧/٤).
(٦) انظر: روح المعاني (١٣٣/٢١).
(٧) انظر: تفسير سورة السجدة (ص٣٥).

وهذا الجواب أورده النحاس، والرازي الحنفي(١)، والخازن(٢)، والسيوطي(٣)، والشوكاني(٤).

ودليله: ما رُوي عن قتادة أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعُدون من أيامكم من أيام الدنيا، خمسمائة سنةٍ نزوله، وخمسمائة سنة صعوده، فذلك ألف سنة(٥).

وما رُوي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: فهذا يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة(٦).

الجواب الثاني: أنَّ المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تدبير أمره تبارك وتعالى بنزوله من السماء إلى الأرض، ثم عروجه إليها في يومٍ مقداره ألف سنة في حساب أهل الدنيا. والمراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هي المسافة من قرار الأرض إلى العرش. وهذا الجواب أورده السمعاني(٧)، والرازي الحنفي(٨).

(١) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٧٤).
(٢) انظر: لُباب التأويل (٤٠٢/٣).
(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٩٣/٣-٩٤).
(٤) انظر: فتح القدير (٣٢٦/٤).
(٥) انظر: جامع البيان (٥٩٢/١٨).
(٦) انظر: جامع البيان (٢٥٣/٢٣).
(٧) انظر: تفسير القرآن (٢٤٣/٤).
(٨) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٧٤).

ودليله: ما رُوي عن مجاهد أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة(١).

الجواب الثالث: أنَّ المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقوله سبحانه: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يوم القيامة يكون على بعض الكفار بمقدار ألف سنة، وعلى بعضهم الآخر بمقدار خمسين ألف سنة، وقد أورد هذا الجواب السمعاني(٢)، والبغوي(٣)، والرازي الحنفي(٤)، والخازن(٥)، والسيوطي(٦)، والشوكاني(٧).

الجواب الرابع: أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: عروج بعض الملائكة بالأمر في مقدار ألف سنة. وأمَّا قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ أي: عروج بعض الملائكة بالأمر في وقتٍ آخر بمقدار خمسين ألف سنة، وهذا الجواب أورده النحاس، والسمعاني(٨).

ودليله: ما رُوي عن ابن عباس أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: هذا في الدنيا، تعرج الملائكة إليه في يومٍ كان مقداره ألف

(١) انظر: جامع البيان (٢٥٢/٢٣).
(٢) انظر: تفسير القرآن (٢٤٣/٤).
(٣) انظر: معالم التنزيل (٣٠٠/٦).
(٤) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٧٤).
(٥) انظر: لُباب التأويل (٤٠٢/٣).
(٦) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٩٣/٣-٩٤).
(٧) انظر: فتح القدير (٣٢٧/٤).
(٨) انظر: تفسير القرآن (٢٤٣/٤).

سنة[١]. وما رُوي عن عكرمة أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: في يومٍ واحد، يفرغ ذلك من القضاء، كقدر خمسين ألف سنة[٢].

الجواب الخامس: الله أعلم بهذين اليومين.

ودليله: ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: يومان ذكرهما الله، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم[٣].

ولعلَّ الراجح من الأجوبة المتقدمة أنَّ المراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو تدبيره تبارك وتعالى لأمر الدنيا من السماء إلى الأرض، ثم عروجه إليه في يومٍ مقداره ألف سنة من أيام الدنيا، خمسمائة سنة في نزوله، وخمسمائة في صعوده[٤].

قال ابن جرير بعد ذكر أقوال المفسرين وأورد المرويات عن أئمة السلف: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يومٍ كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعُدون من أيامكم، خمسمائة في النزول، وخمسمائة في الصعود؛ لأنَّ ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل"[٥].

والمراد باليوم في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو يوم القيامة يكون في هوله وشدته عسيرًا على الكافرين، وخفيفًا ويسيرًا على المؤمنين؛ لِمَا يلي:

---

(١) انظر: جامع البيان (٥٩٥/١٨).
(٢) انظر: المصدر السابق (٢٥٢/٢٣).
(٣) انظر: جامع البيان (٢٥٤/٢٣)، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٢٧٥)، ولُباب التأويل (٤٠٣/٣).
(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص٣٥٣)، وجامع البيان (٥٩٦/١٨)، والتفسير الكبير (١٦٨/١٣)، وأنوار التنزيل (٧٠/٣)، ولُباب التأويل (٤٠٢/٣)، وغاية الأماني (٧١٤/٥)، وفتح القدير (٣٢٦/٤).
(٥) انظر: جامع البيان (٥٩٦/١٥).

أولاً: قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مانع الزكاة: **((**ما من صاحب ذهبٍ ولا فِضَّة لا يُؤدِّي منها حقها، إلاَّ إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأُحمِيَ عليها في نار جهنم، فيُكوى بها جنبهُ وجبينهُ وظهرهُ، كلما بَرَدت أعيدت له، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار..**))**[(١)]. ولحديث أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يومًا كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطولَ هذا اليوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((والذي نفسي بيده إنَّه ليُخفَّف على المؤمن، حتى يكون أَخَفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا)) [(٢)].

ثانيًا: أنَّ القائلين به هم من جِلَّة علماء التفسير، فهذا القول مرويٌ عن ابن عباس، وهو قول مجاهد، وقتادة، وعكرمة، والضَحَّاك، وابن زيد[(٣)].

ثالثًا: سياق الآية ولِحاقها في سورة المعارج يدل على رُجحان هذا القول، فهو سبحانه بعد أن بَيَّن مقدار ذلك اليوم أعقب ذلك بقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [سورة المعارج: ٨-١٠]، ويكون قوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلقٌ بقوله سبحانه: ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[(٤)] [سورة المعارج: ١]، والمعنى: أنَّ هذا العذاب الواقع على الكافرين يوم القيامة الذي مقداره خمسين ألف سنة، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، (٤٣٩/١)، حديث رقم (٩٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٤٦/١٨)، حديث رقم (٩٨٧)، وفي إسناده ضعف؛ لضعف عبدالله بن لهيعة. انظر: تقريب التهذيب (ص٥٣٨). والحديث حَسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في ((فتح الباري)) **(٤٤٨/١١)**.

(٣) انظر: جامع البيان (٢٥٣/٢٣).

(٤) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني (ص٢٩٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤٨٥/٤).

الآية الثامنة: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١].

قال النحاس: " قوله جَلَّ وعَزَّ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾، قال الضَحَّاك: هذا في الدنيا. قال سعيد بن جبير: يُخسفُ بهم بالبيداء، فلا يَسْلَمُ منهم إلا رجلٌ واحد، يُخبِّرُ الناس بخبر أصحابه. قال قتادة: هذا في الدنيا إذا رأوا بأس الله جلَّ وعز. وقال الحسن: هذا إذا خرجوا من قبورهم.

قال أبو جعفر: هذه الآية مشكلة. والمعنى على القول الأول: إذا فزعوا في الدنيا حين نزل بهم الموت، أو غيره من بأس الله، كما قال جلَّ وعَزَّ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

والمعنى على قول الحسن: إذا فزعوا حين خروجهم من قبورهم، فلا فوت يصلون إليه، ولا ملجأ ولا مهرب. كما قال قتادة ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]"[(١)].

الدراسة:

استشكل الإمام النحاس هذه الآية ولم أجد غيره من المفسرين أورد هذا الإشكال، وإنمَّا اختلف المفسرون في معنى الآية على عِدَّة أقوال، بيانها كالآتي:

القول الأول: هو فزعهم حين البعث من قبورهم، وهو قول الحسن. فقد رُوي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾ قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم[(٢)].

(١) معاني القرآن (٥/٤٢٥-٤٢٦).

(٢) انظر: جامع البيان (١٩/٣١٢). وعزاه السيوطي في الدُر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (١٢/٢٣٢).

القول الثاني: هو فزعهم في الدنيا حين الموت عند معاينة الملائكة ورؤية بأس الله، وهو قول قتادة. فقد رُوي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ قال: حين عاينوا عذاب الله[١].

القول الثالث: هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فرارًا من العذاب، ولا رجوعًا إلى التوبة، وهو قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم. فقد رُوي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر[٢].

القول الرابع: هو فزعهم حينما يُخسف بهم في البيداء، فيبقى رجلٌ منهم، فيُخبر الناس بما لقيَ أصحابه فيفزعون، وهو قول سعيد بن جبير. فقد رُوي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ قال: هم الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء، يبقى منهم رجلٌ يُخبر الناس بما لَقيَ من أصحابه[٣].

القول الخامس: هو فزعهم إذا عاينوا عذاب الله يوم القيامة، وهو قول ابن معقل. فقد رُوي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ قال: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا[٤].

والراجح من هذه الأقوال القول الأول، ومعنى الآية: ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، فيفزعون عند الصيحة، وعند البعث والخروج

---

(١) انظر: جامع البيان (٣١٢/١٩). وعزاه السيوطي في الدُر المنثور إلى عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٢٣٢/١٢).
(٢) انظر: جامع البيان (٣٠٩/١٩)، وعزاه السيوطي في الدُر المنثور إلى ابن أبي حاتم (٢٣٣/١٢).
(٣) انظر: جامع البيان (٣١٠/١٩). وعزاه السيوطي في الدُر المنثور إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم (٢٢٤/١٢).
(٤) انظر: جامع البيان (٣١٣/١٩).

من قبورهم،﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ أُخِذُوا من المحشر إلى النار[١]، وهذا القول عليه أكثر المفسرين[٢]، وممّن قال به: الزَجَّاج[٣]، والواحدي[٤]، والسمعاني[٥]، والزمخشري[٦]، وابن عطية[٧]، وابن جُزي[٨]، وأبو حَيَّان[٩]، وابن كثير[١٠]، والألوسي[١١]، وابن عاشور[١٢][١٣].

ويدل على ذلك قوله تعالى في بيان حال المؤمنين الآمنين من فزع يوم القيامة: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقوله عَزَّ وجل: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٥٩٨/٣-٥٩٩)، والتحرير والتنوير (٢٤٢/٢٢).
(٢) عزاه الواحدي وابن الجوزي إلى أكثر المفسرين. انظر: التفسير البسيط (٣٨٨/١٨-٣٨٩)، وزاد المسير (١٨٥/١١-١٨٦).
(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٥٨/٤).
(٤) انظر: التفسير البسيط (٣٨٨/١٨-٣٨٩).
(٥) انظر: تفسير القرآن (٣٤١/٤).
(٦) انظر: الكشاف (١٣٣/٥).
(٧) انظر: المحرر الوجيز (١٩٥/٧-١٩٦).
(٨) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٥٩٨/٣-٥٩٩).
(٩) انظر: البحر المحيط (٤٧٥/١٧).
(١٠) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٦).
(١١) انظر: روح المعاني (١٣٨/٢٢).
(١٢) انظر: التحرير والتنوير (٢٤٢/٢٢).
(١٣) تفسير سورة سبأ (ص٣٠٧).

الآية التاسعة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

قال النحاس: "هذه الآية مشكلة؛ لذكره هذا بعدما تقدم، وفيها قولان: أحدهما: أنَّها متصلة بقوله: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤] أي: إنَّ الله جَلَّ وعزَّ له خزائن السماوات والأرض وملكهما، فيُرسل من يشاء.

والقول الآخر: أنَّه لـمَّا ذكر عنادهم، وكفرهم، وصبرهم على آلهتهم كان المعنى: أم عندهم خزائن رحمة ربك فيحظروها على من يريدون؟ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما؟ فقرَّرهم بهذا"[(١)].

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس هو مشكل المناسبة، ووجه الإشكال: مجيء قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ في هذا الموضع، فأيُّ آيةٍ ممَّا تقدم لها صلةٌ وارتباط بهذه الآية؟

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال الزَجاَّج عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ حيث قال: " إن قال قائل: ما وجه اتصال ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ بقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾، أو بقوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] ؟"[(٢)].

ولعلَّ النحاس أفاده من الزَجَّاج؛ لأنَّ كتاب ((معاني القرآن وإعرابه)) للزَجَّاج يُعدَّ من أبرز وأكثر المصادر التي أفاد منها النحاس في كتابه ((معاني القرآن)).

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

أجاب النحاس بجوابين في بيان وجه المناسبة بين قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ وما تقدم من الآيات، الجواب الأول: أنَّ قوله تعالى: ﴿أَمْ

(١) معاني القرآن (٦/٨١-٨٢).
(٢) انظر: معاني القرآن (٤/٣٢٢).

عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ متصلٌ بقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾، وهو جواب الزَجَّاج كما سيأتي.

الجواب الثاني: أنه لـمَّا ذكر عنادهم، وكفرهم، وصبرهم على آلهتهم: كان المعنى: أم عندهم خزائن رحمة ربك فيحظروها على من يريدون؟ أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما؟ فقرَّرهم بهذا.

وأجاب الزجاج بجوابين، أولهما: أنَّ قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ متصلٌ بقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾. ثانيهما: أنَّ قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ متصلٌ بقوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ فهذا دليلٌ على حَسَدِهم النبي صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من فضل النبوة. فأَعلَمَ اللَّهُ أنَّ الـمُلْك له والرسالة إليه، يصطفي من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزل الغيث والرحمة على من يشاء فقال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي ليس عندهم ذلك(١).

والأقرب –والله تعالى أعلم- أنَّ قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴾ متصلٌ بالآية التي قبله، وهي قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾، فإنَّ الله تبارك وتعالى بعد أن أخبر عن إنكار كفار قريش اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن عليه دونهم، وهم يرون أنهَّم أحقُّ منه بهذا الشرف والمنزلة؛ رَدَّ الله عليهم هذه المقالة الباطلة والشبهة الفاسدة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾. ثم بَيَّن جَلَّ جلاله أنَّه المتصرف في مُلكه وليس ذلك إليهم، فهو الذي يُعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويُنزّل الروح بأمره على من يشاء، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي لا مانع ولا غالب له، الفعَّال لِمَا يُريد،

(١) انظر: معاني القرآن (٣٢٢/٤).

﴿ٱلْوَهَّابِ﴾ الذي يهب من يشاء ما يشاء من فضله ورحمته بغير حساب، ومن ذلك اختصاصه نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة. وخلاصة المعنى: إنَّ أمر النبوة بيد العزيز الوهاب جَلَّ وعلا، وهو يصطفي لرسالته من يشاء من عباده.

ونظير قوله تعالى في سورة ص: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ ما أخبر الله به عن مقالة كفار قريش الباطلة في سورة الزخرف: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣١]، فرَدَّ الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢]، ورَدَّ عليهم في سورة ص بقوله عَزَّ وجل: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾[(١)].

قال الرازي: " اعلم أنَّ هذا هو الشبهة الثالثة لأولئك الكفار، وهي الشبهة المتعلقة بالنبوات، وهي قولهم: إنَّ محمدًا لَمَّا كان مساويًا لغيره في الذات، والصفات، والخِلقة الظاهرة، والأخلاق الباطنة، فكيف يُعقل أن يُختصَّ هو بهذه الدرجة العالية، والمنزلة الشريفة؟ وهو المراد من قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ فإنَّه استفهامٌ على سبيل الإنكار... ثم إنَّه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجوه: الوجه الثاني: من الوجوه التي ذكرها الله تعالى في الجواب عن تلك الشبهة قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾"[(٢)].

وقال ابن عاشور: "﴿أَمْ﴾ منقطعة وهي للإضراب أيضًا، وهو إضراب انتقالي فإنَّ ﴿أَمْ﴾ مشعرةٌ باستفهام بعدها هو للإنكار والتوبيخ إنكارًا لقولهم: ﴿أَءُنزِلَ

(١) انظر: تفسير سورة ص (ص٤٦).
(٢) انظر: التفسير الكبير (١٣/٤٣٧-٤٣٨).

عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: ليست خزائن فضل الله تعالى عندهم فيتصدوا لحرمان من يشاءون حرمانه من مواهب الخير..."[١].

وأجاب بهذا الجواب عامة المفسرين، وممّن قال به: مقاتل بن سليمان[٢]، والزَجَّاج[٣]، والواحدي[٤]، وابن عطية[٥]، والرازي[٦]، وأبو حَيَّان[٧]، والكوراني[٨]، والشوكاني[٩]، والألوسي[١٠]، وابن عاشور[١١][١٢].

الآية العاشرة: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨].

قال النحاس: "هذه آيةٌ مشكلةٌ؛ لأنَّ كل ما وعد به نبي كَانَ، فهذا موضع (كُل)؟ ففيها أجوبة:

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/٢١٥-٢١٦).
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٦٣٧).
(٣) في أحد جوابيه. انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/٣٢٢).
(٤) انظر: تأويلات أهل السُنَّة (٤/٢٥٥).
(٥) انظر: المحرر الوجيز (٧/٣٢٦-٣٢٧).
(٦) انظر: التفسير الكبير (١٣/٤٣٧-٤٣٨).
(٧) انظر: البحر المحيط (١٨/٢٣٦).
(٨) انظر: غاية الأماني (٦/١٤١).
(٩) انظر: فتح القدير (٤/٥٥٥).
(١٠) انظر: روح المعاني (٢٣/٢٢٢).
(١١) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/٢١٥-٢١٦).
(١٢) انظر: تفسير سورة ص (ص٤٦).

أ- منها أنَّ (بعضًا) بمعنى (كُل) وهذا مذهب أبي عبيدة، وأنشد: أو يَرْتَبِط بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُها، وهذا قولٌ مرغوب عنه؛ لأنَّ فيه بُطلان البيان.

ب- قال أبو إسحاق[1]: في هذا إلزام الحُجَّة للمناظِر أن يُقال: أرأيتَ إن أصابكَ بعضُ ما أَعِدُكَ، أليسَ فيهِ هلاكُكَ؟ فالمعنى: إن لم يصبكم إلاَّ بعض ما وعدكم موسى هلكتم، قال ومثله قول الشاعر:

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وقَدْ يَكونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

أي: أقلُ أحوالِ المتأني أن يدرك بعض حاجته. ج- وقيل: ليس في قوله: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ نفيٌ للكُلِّ.

د- وقيل: الأنبياء صلى الله عليهم يدعون على قومهم فيقولون: اللهم اخسف بهم، اللهم أهلكهم، في أنواع من الدعاء، فيُصيبهم بعض ذلك.

هـ- وفي الآية جوابٌ خامس: وهو أنَّ موسى وعدهم بعذاب الدنيا مُعجَّلاً إن كفروا، وبعذاب الآخرة، وإنمَّا يلحقهم في الدنيا ما وعدهم به فيها، وعذاب الآخرة مُؤخَّرٌ، فعلى هذا يُصيبهم بعض الذي يعدهم"[2].

أولاً: تحرير محل الإشكال في الآية:

سبب الإشكال الذي أورده النحاس إشكال معنى الآية، ووجهه: هو قوله تعالى حكايةً عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، وكل ما أخبر به الرسل عليهم الصلاة والسلام وما وعدوا به حقٌ لا مرية فيه، وما وعد بوقوعه موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام فإنَّه يقع كله لا بعضه، فلِمَ قال مؤمن آل فرعون: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ولم يقل: (يُصبكم كل الذي يعدكم) [3]؟

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢١٦/٦-٢١٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٤)، والكَشَّاف (٣٤٣/٥)، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٣٠٤).

ثانيًا: العلماء الذين أوردوا هذا الإشكال:

أورد هذا الإشكال جمعٌ من المفسرين، منهم: الزَجَّاج[١]، والسمعاني[٢]، والرازي الحنفي[٣]، والرازي[٤]، والرسعني[٥]، وابن عادل الحنبلي[٦]، ونظام الدين النيسابوري[٧].

ثالثًا: أجوبة العلماء في دفع الإشكال عن هذه الآية:

الجواب الأول: أنَّ (بعضًا) بمعنى (كُل) وهذا مذهب أبي عبيدة[٨]، وأنشد:

تَرَّاكُ أَمْكِنةٍ إذا لم أَرْضَها أو يعتلق بعض النفوسِ حِمامُها[٩]

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٤).
(٢) انظر: تفسير القرآن (١٦/٥).
(٣) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٣٠٤).
(٤) انظر: التفسير الكبير (٦٢/١٤).
(٥) انظر: رموز الكنوز (٦٠٩/٦).
(٦) انظر: اللُباب في علوم الكتاب (٤١/١٧).
(٧) انظر: غرائب القرآن (٣٤/٦).
(٨) انظر: مجاز القرآن (٢٠٥/٢).
(٩) ديوان لبيد بن ربيعة (ص١٧٥).

وهذا الجواب أورده النحاس[١]، والسمعاني[٢]، والثعلبي[٣]، والواحدي[٤]، والزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، وابن الجوزي[٧]، والرازي الحنفي[٨]، وأبو حَيَّان[٩].

الجواب الثاني: أنَّه عليه الصلاة والسلام توعدهم على كفرهم بعذاب الدنيا والآخرة، فإذا أصابهم عذاب الدنيا فقد أصابهم بعض الذي يعدهم به. وهذا الجواب أورده النحاس[١٠]، والسمعاني[١١]، والنسفي[١٢]، وابن عطية[١٣]، وابن الجوزي[١٤]، والرازي[١٥]، والرازي الحنفي[١٦]، والقرطبي[١٧]، وابن كثير[١٨]، والشوكاني[١٩]، والسعدي[٢٠].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢١٥/٦).
(٢) انظر: تفسير القرآن (١٦/٥).
(٣) انظر: الكشف والبيان (٢٠٠/٢٣).
(٤) انظر: التفسير البسيط (٣٨١/١٩).
(٥) انظر: الكشاف (٣٤٣/٥).
(٦) انظر: المحرر الوجيز (٤٣٧/٧).
(٧) انظر: زاد المسير (٢٤/١٢).
(٨) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٣٠٥).
(٩) انظر: البحر المحيط (٤١٧/١٨).
(١٠) انظر: الكشاف (٣٤٣/٥).
(١١) انظر: تفسير القرآن (١٧/٥).
(١٢) انظر: التيسير في التفسير (١٠٩/١٣).
(١٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٣٨/٧).
(١٤) انظر: زاد المسير (٢٥/١٢).
(١٥) انظر: التفسير الكبير (٦٣/١٤).
(١٦) انظر: أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل (ص٣٠٥).
(١٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٤٩/١٥).
(١٨) انظر: تفسير القرآن العظيم (١٤١/٧).
(١٩) انظر: فتح القدير (٦٤٢/٤).
(٢٠) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٧٣٧).

الجواب الثالث: أنَّه ذكر البعض من باب التلطف في مجادلتهم، وإلزامهم الحُجَّة، وإظهارًا للإنصاف وعدم التعصب لموسى عليه الصلاة والسلام، وليس مراده من ذكر البعض نفي الكل، ونظيره قول الشاعر:

قد يُدْرِكُ الـمُتَأَنِّي بعضَ حاجتهِ وقد يكونُ مع المسْتَعجلِ الزَّلَلُ[١]

وهذا الجواب أورده الزجاج[٢]، والواحدي[٣]، والزمخشري[٤]، والرازي[٥]، والرسعني[٦]، والبيضاوي[٧]، والنسفي[٨]، وابن جُزي[٩]، وأبو السعود[١٠].

الجواب الرابع: أنَّه وعدهم العذاب إن كفروا، والثواب إن آمنوا، فإذا كفروا يُصيبهم بعض ما وعدوا. وهذا الجواب أورده السمعاني[١١]، والنسفي[١٢]، وابن عطية[١٣]، والقرطبي[١٤]، وأبو حَيَّان[١٥]، والشوكاني[١٦].

---

(١) البيت لعمرو بن شُييم التغلبي. انظر: ديوانه (ص١٩٣).
(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٧٢/٤).
(٣) انظر: التفسير البسيط (٣٨٢/١٩).
(٤) انظر: التفسير البسيط (٣٨٢/١٩).
(٥) انظر: التفسير الكبير (٦٣/١٤).
(٦) انظر: رموز الكنوز (٦٠٩/٦).
(٧) انظر: أنوار التنزيل (٢٠٧/٣).
(٨) انظر: مدارك التنزيل (٢٠٨/٣).
(٩) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٧٨٣/٣).
(١٠) انظر: إرشاد العقل السليم (١٥/٥).
(١١) انظر: تفسير القرآن (١٧/٥).
(١٢) انظر: التيسير في التفسير (١٠٩/١٣).
(١٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٣٨/٧).
(١٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣٥٠/١٨).
(١٥) انظر: البحر المحيط (٤١٧/١٨).
(١٦) انظر: فتح القدير (٦٤٣/٤).

الجواب الخامس: أنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون على قومهم فيقولون: اللهم اخسف بهم، اللهم أهلكهم، في أنواعٍ من الدعاء، فيُصيبهم بعض ذلك. وهذا الجواب أورده النحاس(١).

وبعد النظر والتأمل في أجوبة المفسرين التي دفعوا بها الإشكال عن الآية يتبين أنَّها أجوبةٌ محتملة، وبكل واحدٍ منها يُدفع الإشكال عن الآية، وأظهر هذه الأجوبة التي يدل عليه السياق هو الجواب الثالث القائل: بأنَّ مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه خوفًا على نفسه من بطش قومه، وقد خاطبهم بذلك من باب مدارتهم والتلطف في محاورتهم؛ ليكون ذلك أدعى لسماع نُصحه وقبول الحق، كما إنَّه قَدَّم احتمال كذبه على صدقه إظهارًا منه للإنصاف وعدم الانتصار لموسى عليه الصلاة والسلام، وإظهارًا بمظهر المهتم بحال قومه الناصح لهم. وهو اختيار الزمخشري(٢)، والبيضاوي(٣)، وابن جُزي(٤)، والألوسي(٥)(٦).

والجواب القائل بأنَّ (البعض) قد يأتي بمعنى (الكل) قولٌ مردود عند عامة المفسرين(٧)، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢١٧/٦).
(٢) انظر: الكشاف (٣٤٣/٥).
(٣) انظر: أنوار التنزيل (٢٠٧/٣).
(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٧٨٣/٣).
(٥) انظر: روح المعاني (٦١/٢٤).
(٦) انظر: تفسير سورة غافر (ص٢٤٦).
(٧) انظر: معاني القرآن (٢١٦/٦)، والتفسير البسيط (٣٨١/١٩)، والكشاف (٣٤٤/٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٧٨٣/٣)، وإرشاد العقل السليم (١٥/٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، والصلاة والسلام على نبينا محمد المؤيد بالحُجج والبينات، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

١- العلاقة بين مشكل القرآن وموهم الاختلاف والتعارض علاقة عمومٍ وخصوص، فمشكل القرآن أعمُّ من موهم الاختلاف والتعارض؛ لأن الإشكال الوارد على بعض الآيات تتعدد أسبابه، وأحد هذه الأسباب هو موهم الاختلاف والتعارض.

٢- من أهم فوائد دفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم: إبراز وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن الكريم، والدلالة على أنَّه كتابٌ محكم غاية الإحكام، ورَدِّ شبهات الطاعنين فيه. والتأكيد على عظمة هذا التنزيل العزيز.

٣- الإشكال الوارد على بعض آيات القرآن الكريم يُعدُّ أمرًا نسبيًا، فقد يُشكل على عالمٍ ما لا يشكل على غيره من أهل العلم؛ لذا فإن بعض التساؤلات والاستشكالات التي يُوردها بعض المفسرين ليست كلها من قبيل المشكل بمعناه الاصطلاحي، ومن ذلك بعض الآيات التي استشكلها الإمام النحاس ولم ينَصَّ على إشكالها غيره من أهل العلم.

٤- يُعدُّ الإمام النحاس من أكابر علماء الأمة المُبرزين، ومصنفاته خير شاهدٍ على إمامته، ومنها كتابه ((معاني القرآن))، الذي هو من أنفس المؤلفات في بابه.

٥- لم يكن الإمام النحاس ناقلاً عمن سبقه من أهل العلم دون تمحيصٍ أو نقد، بل كان إمامًا مُحرّرًا وناقدًا بصيرًا، وله ترجيحات تدل على رسوخه العلمي.

٦- تعددت وجوه الترجيح التي استند إليها الإمام النحاس في ترجيحه بين أقوال المفسرين.

٧- أبرز من أفاد منهم الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن)): الإمام الفرَّاء (ت٢٠٧هـ)، والإمام الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، والإمام ابن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، والإمام الزَجَّاج (ت٣١١هـ).

٨- أورد الإمام النحاس جملةً من التساؤلات في كتابه ((معاني القرآن)) بعِدَّة صيغ، منها: فإن قيل، ويُقال، ومما يُقال، ومما يُسأل عنه.

٩- تعددت أنواع المشكل عند الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))، وهذه الأنواع هي: مشكل المعنى، ومشكل موهم الاختلاف والتناقض، ومشكل اللغة، ومشكل المناسبة.

١٠- أبرز المصادر التي أفاد منها الإمام النحاس في الإجابة عن هذه الإشكالات هو كتاب ((معاني القرآن وإعرابه)) للإمام الزجاج.

التوصيات:

يُوصي الباحث بدراسة المقترحات البحثية الآتية:

١- التساؤلات التي أوردها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))[١].

٢- تعقبات الإمام النحاس على أقوال من سبقه من المفسرين[٢].

٣- الأقوال التي وصفها الإمام النحاس بالحُسْن[٣].

٤- الأقوال التي وصفها الإمام النحاس بالخَطَأ[٤].

٥- الأقوال التي وصفها الإمام النحاس بالبُعْد[٥].

---

(١) من أمثلة ذلك انظر: معاني القرآن (١/ ٢٧٥ ، ٤٠٣ ، ٤٢٢ ، ٤٥١)، (٢/ ٨١ ، ١٦٦ ، ١٨٨)، (٦/ ١٦٧ ، ١٨٨ ، ٢١٨).

(٢) من أمثلة ذلك انظر: معاني القرآن (٢٧٥/١، ٤٠٣، ٤٢٢)، (٥١/٢، ٨١)، (٦/ ١٦٧، ١٨٨، ٢١٨).

(٣) من أمثلة ذلك انظر: معاني القرآن (٥٤/١، ٥٦، ١٤٠)، (٢٠/٢، ٨٦، ١٢٠)، (١٧/٣، ٧٧، ٩٦).

(٤) من أمثلة ذلك انظر: معاني القرآن (١/ ٥١، ٢٨٠، ٤٠٣)، (٢٣٢/٢، ٢٤٠، ٢٧١)، (٣/ ١٢،١٦٦، ٣٦٤).

(٥) من أمثلة ذلك انظر: معاني القرآن (١/ ١٩٠)، (٣/ ١٥٣، ٤١٥)، (٤/ ٣٩٥، ٥٢٥).

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإتقان في علوم القرآن:** أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٢- **الأحاديث المشكلة الواردة في تفسير القرآن:** د. أحمد بن عبدالعزيز القصير، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٣٠هـ.

٣- **أحكام القرآن:** أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المَعَافري الشهير بابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود:** محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الشهير بأبي السعود (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة.

٥- **أسباب نزول القرآن:** أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٦- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن = تفسير الشنقيطي:** أبو محمد محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٧- **إعراب القرآن:** أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل الشهير بأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٨- **إعلام الموقعين:** أبو عبدالله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قَيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٧هـ.

٩- **إنبَاه الرُواة على أنباه النُحاة:** أبو الحسن علي بن يوسف القِفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٠- **الأنساب:** أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور السمعاني (ت٥٦٢هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

١١- **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل:** أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩١م.

١٢- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي:** أبو سعيد بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٧٩١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد صبحي حَلاَّق و د. محمود أحمد الأطرش، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٣- **بحر العلوم = تفسير السمرقندي:** أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٥هـ)، تحقيق وتعليق: علي معوض و عادل عبدالموجود و زكريا النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

١٤- **البحر المحيط = تفسير أبي حَيَّان الأندلسي:** محمد بن يوسف بن علي الشهير بأبي حَيَّان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

١٥- **البحر المحيط:** أبو عبدالله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٦- **البداية والنهاية:** أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: د. عبدالله عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

١٧- **البرهان في علوم القرآن:** أبو عبدالله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

١٨- **تاريخ ابن يونس الصَّدَفي:** أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس الصَّدَفي (ت٣٤٧هـ)، تحقيق ودراسة: د. عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٩- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٠- **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم:** أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي (ت٤٤٢هـ)، تحقيق: د. عبدالفتاح محمد الحلو، المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.

٢١- **تأويل مشكل القرآن:** أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٢٢- **تأويلات أهل السُنَّة:** أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، تحقيق: فاطمة يوسف الخمي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٣- **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد = التحرير والتنوير:** محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٢٤- **التسهيل لعلوم التنزيل = تفسير ابن جُزي:** أبو القاسم محمد بن أحمد بن جُزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: د. علي بن حمد الصالحي، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٢٥- **التفسير البسيط:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٢٦- **تفسير القرآن = تفسير السمعاني:** أبو المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي الشهير بأبي المظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٧- **تفسير القرآن العزيز = تفسير ابن أبي زمنين:** أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: حسين عكاشة و محمد الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٨- **تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير:** أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٩- **التفسير الكبير = تفسير الرازي:** أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن الشهير بفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: سيد بن عمران، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٣٠- **تفسير سورة السجدة:** أبو عبدالله محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، عنيزة، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٤- **تفسير عبدالرزاق:** أبو بكر عبدالرزَّاق بن همَّام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٣٥- **تفسير مقاتل بن سليمان:** أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير البلخي (ت١٥٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبدالله بن محمود شحاته، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٣٦- **تقريب التهذيب:** أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، حققه وعلَّق عليه: صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض.

٣٧- **تمهيد الفصول في الأصول = أصول السرخسي:** أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف النعمانية، حيدر آباد بالهند، ١٣٩٥هـ.

٣٨- **تهذيب اللغة:** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار القومية العربية، القاهرة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

٣٩- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي:** أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٠- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير ابن جرير الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٤١- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُننه وأيامه = صحيح البخاري:** أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٤٢- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٤٣- **الجواب الصحيح لمن بَدَّلَ دين المسيح:** أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق وتعليق: د. علي بن ناصر و د. د. عبدالعزيز العسكر و د. حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٤٤- **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ)، دار الفكر.

٤٥- **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق وتعليق: علي معوض و عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٤٦- **حُسن المُحَاضَرة في تاريخ مصر والقاهرة:** أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م.

٤٧- **الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور:** أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (ت٩١١هـ)، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط١، القاهرة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٤٨- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب:** أبو محمد محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٩- **ديوان القطامي:** أبو سعيد عمرو بن شُييم التغلبي (ت١٠١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

٥٠- **ديوان عنترة بن شداد العبسي:** تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي.

٥١- **ديوان لبيد بن ربيعة:** أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري (ت٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٥٢- **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير الرسعني:** أبو محمد عبدالرازق بن رزق الله الرسعني (ت٦٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٥٣- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني = تفسير الألوسي:** أبو الفضل محمود شكري الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

٥٤- **زاد المسير في علم التفسير = تفسير ابن الجوزي:** أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق.

٥٥- **الزاهر في معاني كلام الناس:** أبو بكر محمد بن القاسم ابن الأنباري، تحقيق: د. حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ٢، ١٩٨٧م.

٥٦- **الزيادة والإحسان في علوم القرآن:** شمس الدين، محمد بن أحمد الشهير بابن عقيلة المكي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مركز البحوث والدراسات، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٥٧- **سير أعلام النُبلاء:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٥٨- **الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك:** أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدرير (ت١٢٠١هـ)، دار المعارف، القاهرة.

٥٩- **شرح الكافية الشافية:** أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك الطائي الجَيَّاني (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٦٠- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:** أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الشهير بابن قَيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، دار ابن حزم، ط٢، ١٤١١هـ، ٢٠١٩هـ.

٦١- **طبقات المفسرين:** محمد بن علي بن أحمد الداودي (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢- **طبقات النحويين واللغويين:** أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيدالله الزبيدي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢.

٦٣- **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني = تفسير الكوراني:** أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني (ت٨٩٣هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٦٤- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان = تفسير النيسابوري:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٦٥- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٦٦- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير = تفسير الشوكاني:** أبو علي محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٦٧- **الفروق اللغوية:** أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، حققه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.

٦٨- **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية:** د. حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٦٩- **القواعد الحِسان لتفسير القرآن:** أبو عبدالله عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٧٠- **الكَشَّاف:** أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل بن أحمد عبدالموجود و علي بن محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٧١- **كشف المعاني في المتشابه من المثاني:** أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني (ت٧٣٣هـ)، تحقيق وتعليق: د. عبدالجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٧٢- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، جدة، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٧٣- **لُباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن:** علاء الدين علي بن محمد البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٧٤- **اللُباب في علوم الكتاب = تفسير ابن عادل الحنبلي:** أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٧٥- **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

٧٦- **مجاز القرآن:** أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلَّق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ.

٧٧- **مجمل اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٧٨- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية:** جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (ت١٣٩٢هـ) وابنه محمد (ت١٤٢١هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٧٩- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٨٠- **مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء دراسة حديثية أصولية فقهية تحليلية:** د. أسامة بن عبدالله خياط، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

٨١- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي:** أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ)، حققه وخرَّج أحاديثه: يوسف بن علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٨٢- **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم = صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٨٣- **المسند:** أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٨٤- **مشكل القرآن في تفسير ابن عاشور جمعًا ودراسة:** د. علي بن عبدالله السكاكر، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٨٥- **مشكل القرآن:** د. عبدالله بن حمد المنصور، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ .

٨٦- **المُصنَّف:** أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق: محمد عَوَّامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٨٧- **معالم التنزيل = تفسير البغوي:** أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، حَقَّقه وخرَّج أحاديثه: محمد بن عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.

٨٨- **معاني القرآن وإعرابه للزجاج:** أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السَّرِي الشهير بالزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٨٩- **معاني القرآن:** أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله الكسائي (ت١٨٩)، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨م.

٩٠- **معاني القرآن:** أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل الشهير بأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٩١- **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب:** أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحَمَوي الرومي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

٩٢- **معجم مقاييس اللغة:** أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

٩٣- **المغني:** أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قُدَامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله التركي و د. عبدالفتاح الحلو، دار عالم الكتب، الرياض، ط٣، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٩٤- **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٩٥- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:** أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا و مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٦- **مُنتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات:** أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي الشهير بابن النجار الحنبلي (ت٩٧٢هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٩٧- **نُزهة الأَلِبَّاء في طبقات الأدباء:** أبو البركات عبدالرحمن بن محمد ابن الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٩٨- **النُكت والعيون = تفسير الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٩- **الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

١٠٠- **وَفَيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلِكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث : - ٣١٠
المقدمة ٣١٣
أهمية البحث:..... ٣١٤
أهداف البحث:..... ٣١٤
مشكلة البحث وأسئلته:..... ٣١٥
حدود البحث:..... ٣١٥
الدراسات السابقة:..... ٣١٥
منهج البحث وإجراءاته:..... ٣١٧
خُطَّة البحث:..... ٣١٨
المبحث الأول: تعريف مشكل القرآن وأبرز مؤلفاته..... ٣٢٠
المطلب الأول: تعريف مشكل القرآن:..... ٣٢٠
المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في مشكل القرآن:..... ٣٢٣
المبحث الثاني: التعريف بالإمام النحاس وبكتابه ((معاني القرآن)) . ٣٢٥
المطلب الأول: التعريف بالإمام النحاس تعريفًا موجزًا من خلال الآتي:..... ٣٢٥
المطلب الثاني: التعريف بكتابه ((معاني القرآن)):..... ٣٢٩
المبحث الثالث: الآيات التي استشكلها الإمام النحاس في كتابه ((معاني القرآن))..... ٣٣٣
الدراسة:..... ٣٤٦
الخاتمة ٣٨١
فهرس المصادر والمراجع ٣٨٣